

إلى الله الملتقى

نوفلا

فاطمة حمدي صالح

إلى الله الملتقى

الذكر للذكر الملك الملك

فاطمة حمدي صالح

فاطمة حمدي صالح

تصميم غلاف:

غادة عز العرب

تصميم داخلي:

فاطمة حمدي

تعبئة ورابط إلكتروني:

فاطمة حمدي

فريق عمل:

بيت الروايات والحكاوي المصرية

"إهداء أول"

- إلى بيتي الثاني "بيت الروايات والحكاوي المصرية"،

شدت على يدي ووضعت حلمي من جديد في السير، إلى

فاطمة عطية "حبيبتي وحبيفة الفؤاد الطيب، لك مني

كامل الحب والشوق.

- إلى صغیرتی "ياسمین مصطفى" أنتِ قویةٌ یا حبيبتي فلا

تبتئس، أفتخربكِ ووالدك يحبكِ دومًا ويراكِ.

- إلى عزیزاتِ قلبي "دنیا الشملول، سمیة رشاد، سلمی

خالد، تقی طارق"

"إهداء ثانٍ"

-إلى كُلِّ أنثى حاربتْ مِنْ أَجْلِ الوَصُولِ، كُلُّ هَدْفٍ
يستحق الحياة دون رجوعٍ للوراء؛ فأحياناً الإلتفات
للخلفِ يجلب كُلَّ المرِّ للنفوسِ، الدربُ طويلٌ والدنيا
تسلكُ بها مساراتٌ مُختلفةٌ أولها هو التُّعلمُ وآخرها
الموتُ، جلد الذات ومحاربة النفس وشهواتها مِنْ
أصعب الأشياءِ على القلبِ؛ لهذا عِقدُك ومكانتك؛
فمهما تغيرتِ لا تُغيري بداخلكِ.

-إلى كُلِّ رجلٍ خُلِقَ مِنْ نطفةٍ امرأةٍ فأصابتْ بسهمِ
الحقِ دائماً، فكلمة "رجل" تطلق على المسئولية

والإحترام بداخلك دون النظر لأصدقائك، فَمَنْ
يُحِبُّكَ الْيَوْمَ وَتَنْطِقُ بِكُلِّ أَحْلَامِكَ لَهُ.. غَدًا يَسْعَى
لتدميرك بشتى الطُّرُق، والرجل يخلق مِنْ رَجُلٍ شَقِيٍّ
مِنْ أَجْلِكَ.

فَاللَّهُمَّ احْفَظْ كُلَّ إِنْسَانًا سَعَى وَجَزَعٍ عَلَى الْبَلَاءِ،
سَدِّدِ اللَّهُ خُطَاكُمْ وَجَبِّرْكُمْ بِكُلِّ أَمَلٍ وَحِبِّ لِلغَيْرِ،
أَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ.

"المقدمة"

نظر للنافذة بتوجسٍ من القادم، أصبح رجلاً بعد
غيابِ قوّةٍ من الأملِ، عينان ذابلتان بكسرهٍ من
الماضي، حاول إغلاق عينيه ليترددَ صوت العويل
من جديدٍ؛ ليصرخ بأعلى صوتهُ دون الشعور
بنفسه..!

كُسر فصار كالزجاج المُتَشَقَّق، لا يَرِ إلا الأذى من
القريب، صرَّخُ فألمٌ فُتت ضلوعه.

الفصل الأول "صوتُ الندم"

"قد تكون سابقًا في فراشك دون النظر لِمَ هو
قادمٌ، فراشك، وسادتك، عقلك المُسترخي في آناء
الليل، وقد يكون هروبًا من نفسك الفاشلة!"

تناثر الغطاء حول جسدها بعشوائيةٍ لطالما
إختارتُ الفراش المقارب للحائط؛ كي تنسى ألم
الدنيا وحياتها الضائعة قرابة العامين، نائمةً، غير
مدركةٍ أي شيءٍ كان، عُرِفَتْ "نبأ" بإنعزالها الدائم في
الظلمات بعدما تخرجتُ من جامعتها، قد تصبح
عاجزًا عن الأحلام إن سرتُ ورائها وقد تتوقف كلما

هب طيفك العاجز أمامك، ولجت والدتها بألمٍ على
حالتها، أحبت فتألمت، هاهي الأوسط في إختها وفي
أعين الجميع تعتبر الصغرى بعقلٍ ضئيلٍ.

خرجت ممسكةً بالسكين؛ كي تكمل الطعام،
فالصغرى في محافظةٍ أخرى والأكبر منهمكًا في عمله
بعدها أسس مكتبًا خاصًا بالمحاماة، سرحت
"ميمونة" في الماضي، أبناءها الثلاثة.. مَنْ تزوج في
ربيع عمره الوردي، ومَنْ فضلت الذهاب للدراسة
خارج بلدتها، والأخرى تتبع ماضيها الأليم.. أي قدرٌ
هذا؟

فوجئتُ بدخول "منذر" مرتميًا بأحضانها، لظالما
كانتُ الأم هي السيدة الأولى للأبناء مهما فعلتُ، قبل
جبينها ومن ثم ولج لحجرتِه واضعًا حقيبة عمله،
هُزم البيت وهُزمتُ الروح معه بمغادرة الفتياتِ،
واحدة بجسدها والثانية بقلبيها، ولج للمرحاض وهو
مرهقٌ، أيامٌ شدادٌ؛ كي يتمكن من وضع حجرٍ ثابتٍ
لأبنائه، تهدي بانزعاجٍ وهو يرى ملامح والدتهُ
الحزينة، تقوم بعمل البيت كل يوم بلا شكوى رغم
عُمُرها المتزايد، اتخذ دربهُ وهو يدخل لغرفة
شقيقتهُ.

أزال الغطاء ممسكاً بيديها، لم يشعر بنفسه، يرى
صورة أنثى منكسرة، اختارت حبيها الفاسق في
المشاعر وكأنه ترياق من المر، ملامحها النائمة
وفزعها؛ لينطق بجدّة:

-كم كرهت تلك الندوب التي تظهر أمامك؟!

مللت من الحديث ومن النطق الفارغ معك!

لم تفعلين هذا بنفسك، إن كان آخر الرجال لن
أو افق ولن نمحو دموعك، عامان من الألم، عامان
من الفراق بينك وبين شقيقتك في الحديث
والمشاعر، تلك الدموع لا تستحق الخائن، ها أنا
أحدثك للمرة الأخيرة.. لن أكفك دموعك مرة

أخرى ولن أمحو ما بقلبك، المرأة التي تضع لك
الطعام، وضعتُ الهموم بين يديها، وأنتِ تبكين،
سأغادروا لا تتحدثين ليّ قبل أن يرد رشدك يا "نبا".

غادر على الفور، فلا يودُّ الإنصات من جديد لها،
ثورٌ من الغضب؛ ليتحول إلى البسمة لصغيرته التي
لامست قدميه، حملها برفقٍ بين أضلعه ومن ثم
جلستُ "أسوة" بجواره، رأته غضبًا خامدًا بعينيه
لكنها تعلم ما يدور بعقله، تحول "منذر" من المرح
إلى الجدّي بشكلٍ بالغٍ بعدما أنجبت "أسيف"
كبيرها والحفيد الأول للعائلة ثم أنار المنزل بصوت
"أميمة" بكائها، ضحكاتها، نوائها الصغيرة؛ ليصبح

مهتمًا بكلِّ شيءٍ مَنْ يراه يبغض رؤيتهُ وَمَنْ يقترب
منه يحبه كثيرًا.

-أيُّها القصيرة هل يمكنكِ الذهاب لأخيك؛ كي لا ينم
مجددًا!

-نعم يا "أمي"، وسأجعله يتلوي بعض آيات الله التي
يحفظها كل يومٍ مِنْكَ حينها سيعطيني ما أريد.

فرتُ مِنْ أمامها وهي ممسكةٌ بدُميتها الصغيرة،
تحدثتُ "أسوة" لـ "منذر" بحبٍ:

-أنا أعلم و أنت تعلم ما أريد قوله لهذا لا تتحجج لي
بألفاظك المعتادة، فقط اترك العنان لأذنيك، أعلم
مدى حبك لأشقائقك ولكونهم إناثٌ، هي فترة
وستمضي وستزهر أيامهم يا زوجي، فلا تصبح
غاضبًا يا "منذر" قد يكون ما تراه أمامك ما إلا
إشارة للمستقبل، قد يصبح "أسيف" قاسيًا من
دروب الحياة، فلا تقسو عليّ بنظراتك رجاءً.

-ولمّ لا تنصحهما بدلًا مني ما دُمتُ قاسيًا!

تهدّت "أسوة" بقلّة حيلةٍ، لطالما كان مسئولًا من

الجميع ولا يقبل التهاون منذ العام الأول لهما:

-أنتَ أطيّب قلب يا أبا أسيف، لكنك تحمل الكثير
في مثل هذا العمر، فكيف للفؤاد أن يتحمل
المقبل، لا أظن سوءاً لأبنائك، سيصبح الأمر عادياً
إن رأيتُ ابنك يعانق شقيقته بحبٍ ويحتوي عقلها،
قد تخبأ حديثها وتتجه للغريب، النظراتُ فضّاحة يا
"منذر"، وهما إخوتي قبل أن تصبح زوجي هل
نسيتُ هذا!

تأفف بضيقٍ؛ ليدخل غرفته تحت أنظارها، مازال
طفلاً بعينها، تحملت الكثير وتعلم أنه يُمثل الشدة.
أقبل الليل عليه؛ ليصبح المنزل هادئاً لا صوت ولا
بكاء أميمة يزعجه، ولج وهو يسكب كوباً من الشاي

ومن ثم توجه للشرفة؛ كي يحتسيها، نسماًتُ الهواء
الباردة تُداعب ضلوعه، مدّ يديه مستمتعاً بقطراتِ
الشتاء؛ ليتفض بزعرٍ ما إن رأى اسم "إباء" يحتل
شاشة الهاتف؛ ليجيب بقلبي:

-ما بك؟!-

-إنني بمحطة "رمسيس" يا أخي وقد حل الليل ولم
يتبق لي نقوداً كافيةً لهذا قد هاتفتك، من فضلك
أرسل لي مالاً.. ولا تتشاجر معي الآن.

-لك ما تريدين، لكنني لن أتركك تأتين في هذا الوقت، ساعةً واحدةً وستريني أمامك.

أخذت تنظر للساعة كل دقيقة، تشعر ببرودة الجو ودموعها الخفية اقتربت من السقوط، لا تُدرك كم من الوقت المتبقي لرؤية فراشها، شقيقتها، الكثير والكثير في ذهنها سرعان ما اقترب "منذر" من خلفها؛ لتنتفض بخوفٍ، بكت بين أحضانها، ضعفت أمامه من جديدٍ، هدأ من روعها وهو يحمل أشياءها، طريقاً فارغاً من السيارات، لا ضوء ولا مصباح بالطريق.

أدار المفتاح في الباب وما إن رأتها "ميمونة" هرولت
إليها بحبٍ غير مدركةٍ لِمَ عادتُ، طمأنها "منذر"
بحجةٍ فارغةٍ ليعود من جديدٍ، فضل مناقشتها بعد
راحتها كي لا تقلق أمه عليها، كُل ما يعلمه أنها
اجتازت إختبارتها بعامها الثالث بجامعة الحقوق،
اهتم بها في هذا المجال بعدما تخصص في القوانين
المختلفة، فكان اثناهما يحملان كفة الحق والأخرى
تهتم بالأعمال اليدوية والتدريس.

أسدل الليل ستاره؛ لينبثق الضوء قرابة السادسة
صباحًا، نائمًا غير مدركٍ بأي شيءٍ، فقد انتهزتلك
العطلة في راحة جسده.

"القلوب الرقيقة لا تتهاون في موافقها، ولا تتواري

خلف الكذب"

ولجت "ميمونة" لغرفة "نبا" .. رائحة الحريق

شديدة للغاية، رأتها تحرق صورها التي أخذتها مع

حبيبها السابق، ارتفع صوتها؛ لتخمدها"

إباء "بسرعة، رق قلبها لهيئتها، كتمت غضبها فهي في

حالة سيئة غير قادرة على أي شيء، جلبت لها كوبًا

من الماء ومن ثم خرجت بعدما أشارت والدتها لها،

صرخت بأعلى صوتها وأنيبها المغمور بالألم وكأنه

ختم بفؤادها، دُمر أحلامها وهيئتها، تألم والدها

وهي بتلك الحالة من جديد.

نطقت "ميمونة" بحب:

-كم من قسوةٍ مررتِ بها أيتها العنيدة!

نصحت قلبك يا نبض الفؤاد وسرت وراء قلبك،

أعلم أنّ أخاك أفاقك بعد عتمة من الظلام، أنتِ

"نبأ" المتمسكة بالحلم فلا تتهاون من جديد، جميعنا

نُحبك ونفعل ما تريدِ فلا تتأخرين في روحك النقية.

-عاجزة.. عاجزة يا "أمي"!

-هَلِّمِ إلى المرحاض؛ لتصلي ومن ثم أمسك قلمك

واكتب ما يريدُه قلبك.

جذبتها برفقٍ؛ لتتشبث بثيابها وكأنها طفلةٌ؛ لتغلق

غرفتها، اتجهت لخلوتها التي أهملتها، بكت بحرقَةٍ..

قد تكون الدموع حارقةً كلما تذكرتُ إهمالك لِمَ

تحب.

الفصل الثاني "إنهزام روح"

"لا تُسارع في خُطاك؛ كي لا تفقد روحك مجدداً"

ساعةً فالثانية لا صوت لها، تسحبت "إباء"
لشقيقتها لتجدها قابعةً بالأرض، تضم قدميها وتبكي
بصمتٍ، رمقتها بملامحٍ باهتةٍ وروحٍ تأذت من الغير،
لم تجد سبيلاً إلا ضلوعها؛ لتهرول إليها، أتلک من
تودُّ البكاء بأحضانها؟ أغمضت عيونها وهي تربط
على كتفها، لطالما كانت الأحضان هي الأمن إن كانت
الرابطة قويةً لا فراق إلا بتوقيتٍ ولا حديثٍ ضيقٍ،
أزالت دموعها وهي تنطق بلهفة:

- ما رأيك في الذهاب لمكان ما تحبين، فالיום هو

الجمعة ويمكن لأبي أن يوافق.. هل توافقين؟

- عيناى منتفختان.. كيف سارى الناس يا شقيقتى؟

- نبأ، الناس لا شأن لهم بك، وتلك العيون أصبحت

جميلةً لطالما كنت الفتاة المحببة لقلبي رغم

إختلافنا، أيتها المرأة قد عدتُ صباحًا فلا تتحجى ليّ،

سأقنع أباك، فعليّ التحدث معك، فإن لمحننا

"منذر" لن يحدثنا وأقصد هنا أنا وأنت.

"نبأ": هل يمكننا الذهاب في وقتٍ لاحق، فلا يهدأ
قلبي بحزن منذر هو أبي الثاني وروحي، لا أحبذ
شجارنا من جديد، لن أنطق بأنني بخير.. ربما
الوقت سينسي حزني لكن القلب لا ينس، اتركيني
الآن لأستريح.

أومأت برأسها لتغادر، قررت ترتيب المنزل لتهدئة
روحها وألمها الخفي، ربما لم يحن الوقت بعد لقول
ما يزعجها، بدأت بغرفتها وهي تُزيل الأتربة،
لتتساقط الكتب بعضها تلوى الآخر، تمتمت بضيقٍ
وهي تنسق وتغير حجرتها ومكتبها، قررت إزالة الحزن
بكلمات الله- عزوجل- وما إن انتهت جلبت القهوة

بصحبة إحدى الكتب، تغيرت روحها قليلاً وهي
تمارس ما تحب بعد شهرٍ من الإنقطاع، لجأت
لهاتفها تدون بتردد:

"لا أدري إن كنتُ صواباً أم لا، لكنني عالقةٌ كلِّماً
رأيتُ تلك النائبة أمامي، عجزتُ عن التدوين قرابة
الخمسة أشهر، لا أعلم إن نسيتُ ما أحب أم لا،
ظن الجميع الحب بي؛ فأخذوا يقذفون الأمور عليَّ
وها أنا أساعدهم دون كلي، ربما تناسيتُ عبادتي
وأنَّ الصلاة هي الحل لي، عُدتُ لما أعشق لكنني
فارغةٌ من الداخل كأنينُ الهتان على وجهي،
تساؤلات بعقلي ليأبى الإجابة...!"

وَهَنَّتْ عَنْ تَدْوِينِ الْمَزِيدِ، رَبَّتْ "نَبَأً" عَلَى كَتْفِهَا

بِهَدْوٍ وَهِيَ تَجِيبُ بِصَوْتِ هَامِسٍ:

-أَنْتِ بَخِيرٌ الْآنَ؟!

-لَا خَيْرَ إِنْ رَأَيْتُكَ تَتَأَلَّمِينَ أَمَامَ عَيْنِي، سَأَذْهَبُ لِأَخِيكَ.

هَرَوَلَتْ "إِبَاءً" خَلْفَهَا؛ لَتَلْحَقَ بِهَا، وَلَجَا اثْنَتَهُمَا

لِلبِنَايَةِ وَمَا إِنْ صَعِدَ فُتِحَتْ "أَسْوَةٌ" مَحْتَضِنَةً

إِيَاهُمَا، شَرَزَ بَعَيْنِيهِ لِهَمَا؛ لِيَكْمَلَ طَعَامَهُ مِبْتَسِمًا

رَغْمًا عَنْهُ لِأَوْلَادِهِ، نَطَقَتْ بِالطَفِ:

-أعلم أنكما تحبا الشطائر باللحم، سأضع لكما فأنا

أشعر بالجوع ولم أضع بفي لقمة واحدة.

هزّت "نبأ" و"إباء" رأسهما ليجلسا أمامه، هدرت

بحدة:

-عينيك فضاحة أيها المنذر، فلا تختلس النظرات

بيننا، أفهم أنك خائفٌ عليّ وعلى دربي، بدأت بحرق

ما أحببت لكن التعافي ليس مرةً واحدةً، فإن توقف

أحدًا عن العمل لن يعود كما كان، أنت أكبر وأعقل

منا؛ لهذا لن أغادرو أنت راضٍ عني، فلا تتحاشى

النظر إلينا ربما قد تكون أنتَ النجاة الحقيقة لنا،
نحن نحبك كثيرًا، أحيانًا نشبه أبنائك لكننا واحدٌ.

أكملتُ "إباء":

-وأنا أعتذر لك عن أمسٍ، لقد مررتُ بموقفٍ قسم
قلبي وعجزتُ عن البقاء ليومٍ واحدٍ آخر، رأيتُ
البغض في قلب المسكن الذي أعيش به يا أخي،
قلوبٌ سوداء تنظر إليّ بحقدٍ وعينين يملؤها الغل،
قذف عليّ الكثير من الأسماء ولم أنطق كعادتي،
شعورٌ من الفشل احتل وجهي؛ لأقرر المغادرة،
عَظَنَ فؤادي عن التفكير.

-وهل هذا سيشفع لكما؟

عقد حاجبيه بعدما أجاب؛ لتنظر الأخرى بإيجابٍ،
تناولا الطعام بصمتٍ وهو يفكر في أمرهما، كم من
مرة حاول التملص من أمرهما ليفشل، يشعر بالَمِ
يغزو رأسه كلمّ لاح عليه ذكرى طفولتهم، يودُّ أن
يكون رفيقًا لا قاسيًا عليهن، أفاق على شجار الشقة
الأمامية؛ ليندفع بسرعةٍ يحاول فض الأخوين ككل
مرة، صُدم حينما وقعتْ والدتهم ليحاول إسعافها
لكنه ضَعْفُ أمام هيئتها، دخلتْ "نبا" حينما أُصدر
صوته؛ لتفيقها بعد وقتٍ قصيرٍ لمنزل شقيقها تحت
نظراته المجهولة، رمق ثياب "بارق" وعلامات

الصفح، أما عن "سفيان" فكان وكأنه متناولٌ

لشيءٍ، تحدث بجديّة:

-ربما تحملتُ منك صوتك وإهمال والدتك، خوفها

عليك من بطش الدنيا، إن كان أبوك هو السبب

فقد رحل عند الله، أما عنك فقد تخطت حدودك يا

"سفيان"، سئمتُ أفعالك وضربك المتتالي لـ

بارق"، تسرق نقوده ويصمت، تؤذيه ويكمل بقهرٍ

عليك، ألا تهتم للشقق والناس النائمين، لست رجلاً

هكذا! ربما أعجز عن طردك لكن سهل ليّ إبلاغ

الشرطيّ إدعاءً حينها ستغادر ضوء الشمس، أكل

هذه الأشياء من أجل النساء! أنت أبله وأصغر مما

يكون بعيني، لن أسمح بحدوث هذا الشيء مجددًا
ولا أنتظر منك ردًا لطالما كُنْتُ قليلٌ بالنسبة ليّ.

غادر "سفيان" بنزيفٍ من الأحاديث الكاذبة، رُسم
العقل متاهات الحياة عليه؛ ليغرز في شباكِ الدنو،
يختلف الفراق لكنه أمرٌ موحدٌ بالجميع، فقد يكون
الرجل منكسرًا إن غادر الأب أمام عينيه، يتحمل ما
لا يطيق، ويعجز عن الحديث، يصبح الحامي والأمن
للغير أما هو فاقْدُ لشعور الطمأنينة الداخلية،
القوة، الكثير.

تغيرت طِبَاعُ الأخوين وتغير معهم عقولهم، "بارق"
الذي سخر كل وقته في دراسة الحقوق وما إن أنهى

ازداد تحصيلاً للعلمِ فعمل برفقة "منذر" الذي
 علّمهُ الكثير من خبرته، شغف بحب القراءة والعزلة
 في بعض الأحيان، صوت والده يُردد بأذنيه كل ليلة،
 عامان من الهاجس كُلمًا أقبل على شيءٍ ولا زال
 مقهورًا على رحيل موطنه، أما "سفيان" فقد سار
 وراء غرائزه، اتبع طرق الفساد بعدما تحول من
 العمل المؤقت لعملي دائمٍ بالهندسة الميكانيكية،
 لاحق الفتيات وشُتت الذهن، فما كان دربًا سهلاً
 على "بارق" كُلمًا تقبل الطعنات منه دون مرعاةٍ
 لأمه، أن يكون الرجل صامدًا أمام الأم، أن يعيد
 روحها لمّ قبل لا يؤلمها، فالمرأة تُكمل الرجل وإن
 تركها أصبحت فارغةً.

أسبوعاً على تلك الحالة، لا يرأخاه ولا يذهب لعمله،
تابع "بارق" صحة والدته وغذائها، لكنه فارغٌ بدونه
مهما فعل، تَجَشَّمَ قلبه وهو صامتٌ لا يودُّ التَّحدُّثَ
خشيةً من وجع عقله، يعلم أين هو ولربما يجهل،
فلا مكانٍ يثبت عليه، تفوق الشيطان على عقله
فتغير الحال للأسوء، تشابها في كُلِّ شيءٍ إلا أن هبَّت
الرياح عليهما، كان ممسكاً بقلمه يخطط
بعشوائيةٍ كطفلٍ صغيرٍ؛ ليقرر الذهاب للمسجدِ
ما إن حلتُ العشاء، مسح جبينه ومن ثم غادر..
دعا بقلبه بالسلام لأخيه.

تزاحمت المارة؛ ليجلس على أقرب مقهى ربما
يتحسن ولو قليلاً، لمحهُ "منذر" منضمّاً إليه:

-تشبه النجمة إن غابت غابت روحها.

-ربما الامعان هوسرها كأحجار الغالية، تغيب
الروح إن رحل نصفها الثاني، فلا تعاتبني على شيء،
بالنهاية هو أخي.. هل يمكنك التخلي عن شقيقاتك؟

صمت "منذر" بتفكيرٍ، هما عينيه الإثنيين مهما
فَعلا، نطق بحنو:

-الدماءُ القوية لا تعرف التّخلي أبداً، ربما تجهل معرفتي بيّ لكنني سأخبرك ما بقلبي ولا أستطيع البوح به، تعلم أنّني بالسادسة والعشرين وقد كافحتُ منذ العشرين، رسمتُ طريقي ومع كل قرشٍ كُنْتُ أدخر المال، طريقٌ مجهولٌ، وعالمٌ ليس عالمي، صِرْتُ أهدأ عن ذي قبل وفي كُلِّ مرةٍ تأتي كارثة من دراستي وعملي، وما إنْ أنهيتُ عامي الأخير التقيتُ بـ"أسوة" لا أكذب عليك سرقت فؤادي بحنيتها على الجميع، كُنْتُ أراها على فتراتٍ، جازفتُ وأصبحتُ مسئولاً عن بيتٍ يستلزمُ المال والحرص عليه، لم يعاتبني أبي أو ألقى عليّ التهم، لكنني تغيرتُ من أجل الجميع، "نبأ" المتوسطة و"إباء" الصغرى.. هما مصائبي.. لن أكذب فأفعالهما كفيلاً بتفريق عقلي،

ربما قد تخلى "سفيان" عن الجميع ولجأ لرفقاءٍ
يمتلكون من السودِ الكثير، أعلمُ أنني جارحٌ إن
أخطأ البعض، لكنني أتحدث بالحقيقة تقبلتها مني
أورفضها ليس لي شأنًا ما دام قلبي مطمئن، ما
يؤلمني حقًا هو أنت، أنتَ بارق المجتهد بعين الجميع،
تمتلك من المشاعر الكثير يا صاحبي، والمشاعر لا
تناسب هذه الدنيا، عُدِّمًا كُنت رجاءًا ربما يعود
"سفيان" كما كان.

-صاحبك؟! كيف وأنت تشبه الثور في العمل!

-مهلاً عليك وسأريك الثور الحقيقي، نعم
فالصاحب صاحب ولم تسحب عقلي فقط بل قلبي،
فكيف لشابٍ في ربيع عمره يدرس ويعمل، غير
معقولةً يا أخي، أنت تعرف عني الكثير رغم قلة
حديثنا لكنك خائفٌ دائماً يا بارق، هل الهزيمة
تحبها هكذا؟

تنهد بآلمٍ من هذه الكلمة؛ ليقرر الإفصاح:

-أتقبل كل الهزائم، كي أصبح قوياً، بعد موت أبي
وتلك الصدمة، ظهرتُ الوجوه بحقيقتها علينا،
وحوشٌ تودُّ قتلك بلا رحمة، تصرخ عليك وتصمت
ليس من أجل الخوف بل من أجل الاحترام، تطاول

الحديث وفرقتني الأيام بيني وبين أخي بسبب
الوسوسة تلك، حينها تقبلتُ كل الهزائم بفرحةٍ..
صرتُ من فتى بشوشٍ لرجلٍ يغمره الألم، قطعْتُ
من ألمي لكنني كالطفل لا ينسَ أبدًا، بالنهاية
سأتعلم وسأصبح رجلًا؛ كي أقدر على المستحيل،
هل تعلم صاحب البنية يا "منذر"؟

نظر لعينيه بثقة:

-أنا صاحبها لكنني لا أحب قول هذا، ولا أحد يعرف
إلا زوجتي.

-ما هذا المزاح السيء!

-أتحدث بصدقٍ، أنا صاحبها، أقسم لك!

الفصل الثالث "لأسمائنا صفات"

"تلك الأحجار التي بُنيت مُنذ زمنٍ لا تتساقط قط،
الأحجار هي القلوب وأساسها هو النُطفة التي
وجدت في الصِفر، لا تشبه أحدًا ولا تتفرق، ربما
تنطفئ شيئًا فشيئًا وبمجرد طلائها من جديدٍ تعود
لمَّا كانت عليه"

رمش عدة مرات تحت أنظاره ناطقًا بحدّة طفيفة:

-يبدو أنك تُخبئ الكثير يا صاح.

-قد أكون مجهولاً بالنسبة للبعض، لكنني صادقٌ في حديثي، وهذا ما يشفع ليّ عند الغير، لا أبرر ولا أتججج بل أقولها دون خوفٍ، وضع أبي نقوده في تلك البنية مع صديقه وما إن رأني وجد بي شيئاً لا أعلمه حقاً؛ فأخبر "أبي" بإزالة تلك الشراكة بشرطٍ أن أشارك "أبي"، وافقتُ وسددتُ النقود بعد عامين لهذا لا أتحدث عنها، ربما لأنه ميثاق فِئماً تسأل؟!

-أردتُ شراء شقةٍ ليّ ولأخي، هروباً من الشجار كي لا يغادر إن تغير كما قلتُ، لهذا ليس معي إلا القليل، فهل يمكن دفع ما معي وقبل عامٍ سأسدد المال كله.

فكر قليلاً بالحديث، فهو يعلم مدى حبه لأخيه، لم
يُخيل له تلك المرة أن يضحى بأي شيءٍ من أجل
سلامته، مَنْ منا يضحى بدون مقابلٍ، شعر بدنو
قلبه بعض الشيء؛ ليردف بمحبة:

- لك ما تريد، وأنا أفتخرُ بك يا "بارق" لهذا لا داعٍ
للقلق من ناحية تلك الأمور، سأكتبُ لك العقود
على أنها تملكُ لك ولأخيك.

- والمال..؟

-أنتَ تراني أكثر من أولادي، زوجتي، عائلتي، فهل
ستهرب من الدين يا أخي، لا عليك أكملهم إلى أن
يأتي الوقت للسداد، سأذهب الآن ولا تهمل عملك
فقد يشاركك أحداً قريباً.

تهمد "بارق" ببسمة:

-وهل يمكن ليّ الرفض إن كانت شقيقتك يا
صاحبي، كان الله في عون من يعمل معك، رغم أنني
أكره العمل مع أنثى واحدة لكونهن كثيرين التحدث،
سأذهب لأمي.. وشكراً من أجل هذا الحديث لم
يفعل إنساناً معي مثلما تفعل أنت، أراك بالغد.

دفع النقود ومن ثم ذهباً سويًا، طرق "منذر" عدة
مرات؛ لتفتح "إباء" وهي تحمل طبقًا من الحلوى،
أخذ واحدة بعد السلام ومن ثم ولج لغرفة "نبأ"
بعدها اطمئن على والديه، رآها تتابع أخبار العالم
من هاتف شقيقتها؛ لكونها كسرت هاتفها بعد
صدمتها الأولى، والأخرى تختار إحدى الكتب
لقرائتها، نطق وهو يغلق الشرفة:

-هل الطقس حارٌ للغاية؟! وأنتِ هل انتهيتِ من
إختيار الكتاب أم لا؟ أودُّ الإنفراد بشقيقتك إن
سمحتِ لي؟

-ولمَ لا أنصتُ لحديثكما معًا، هل ابنه البطة

السوداء أنا؟ أم وجدتي بالشارع!

-بالفعل وجدتكِ على رصيف إحدى الشوارع،

للخارج أيتها الثرثارة، تشبهين البقدونس لا يحب

الخروج أبدًا!

رفعت "إباء" كتفها ناطقةً بفرار:

-لكَ مَا تُريد.. لكنك ستدفع ليّ ثمن الكتب التي

جلبتها من الإنترنت وسأضع رقمك، سأجعلك تشبه

الحلزونة أيها المتشرد..!

شرز بعينه لتهرول من أمامه بسخطٍ، ابتسمت
"نبأ" عليها، فلا زالت تحتفظُ بطفولتها لكن روحها
تغيرتُ، لقبتها بالفتاة الضاحكة ولم تتغير من
طبعها، أغلقت الهاتف ومن ثم تابعتُ "منذر" وهو
يجلبُ من الخزانة هدية تشبه المستطيل ملفوفة
بالورق الأزرق "الكانسون" مدونٍ عليه: "ربما قد
تتألمين لكن جراحك لن تشفى إن فكرتِ في هذا
الماضي، أنتِ بُنيتي الصغيرة" .. ضيقتُ عينها
ليضعها أمامها مشيراً بإزالة الغطاء.

هاتفٌ من الطراز الجديد ذلونٍ أسود بالإضافة إلى
غطاءٍ من اللون الأزرق والأبيض شفافٌ بداخله

بعض الجمل والزهور الجافة، احتضنها بحب،
يعام مدى خجلها في المفاجآت لكنها تحتفظُ بقلبها
النقي له، ربط على كتفها ناطقًا:

-وضعتُ شريحتك بالهاتف وجلبتُ لكِ رقمًا
جديدًا، لا تحملين الهم فقد وضعتُ كل شيءٍ ولا
يتبق إلا الإستعمال، أعلمُ حبك وشغفك بالمهارات
الكثيرة، لهذا أتوددُ لرجوعك مثلما كنتِ.

-لكن المال يستحق بيتك لا أنا وقد تنزعج "أسوة"
إن علمتُ، أنا أخبرتُ أباك بأنني أريد هاتفًا وقد
حدثني بأنه سيذهب معي..

-و"أسوة" هي مَنْ جلبتهُ لكِ وقد شاركتني ذلك مِنْ
مصروفها الشخصي، لا تفكرين رجاءً فبعض
العقول متعبةٌ كأنتِ.

"نبأ" بجديّة:

-ربما قد أتأخر في رجوع روعي لكنني سأعود قريباً
لعملي ولما أحب، لكن عقلي منشغلٌ بأفعالك، قد
يقول البعض أنك تدخل في شجارٍ دائمٍ، لمّا تهتم
بالكثير هكذا يا أخي؟!!

-قبل أن أكون محامياً للبعض فأنا حامي للحق،
وقد شهدتُ بألا أشهد ضد معتدٍ أو خائنٍ،
أتى "بارق" في الواحد والعشرين ليّ فكان يعمل بجدٍ
إلا أن أتقن فن التدبر والحكمة، لم يكن عامّاً سهلاً
بعد فقدان أبيه، أتم دراسته وأكمل ما يجب، كان
يتسرب في الليل؛ ليعمل صبيّاً فادخر القرش على
القرشٍ وبهذا خطى أول خطوة، لم يكن بيننا تلك
القوة والحاجز فقد قص ليّ كل ما أريد وكُل ما
يحدث معه، جذبني الحنو ومدى خوفه على والدته
وحبها الدائم دون تفرقةٍ، إلى أن أصيب "سفيان"
بغشاشة العينين، يحب أنثى تشبه الحية المتلونة،
يومٌ مع هذا ويومٌ تعود إليه، الفرق بينهما هو
التقرب لله، لهذا أقف بجوار "بارق" ولن أخذل

وعدي بعودة "سفيان" لمكانته، فَمَنْ يَحْمِلُ الْعِلْمَ
ويعمل معلماً لا يستحق إلا الوفاء بالعهد.

أما عني فلا أحبذ رؤية الخطأ وأصمت، حتى وإن
بغض البعض رؤيتي فلا سبيلاً إلا الصدق، وأنّها
كلمة حُسِبَتْ عليّ.. كَمَنْ يَبْرَعُ الْعَقْدَ فِي سَبِيلِ
العسف أمام المدين، يا "نبا" إن قلبي يؤلمني كُلَّ
يومٍ، وأنتِ لم تَرِ إِلَّا حَجْرَتِكَ، لم تهتمين بالغير كأننا،
أعاشر البشر، وأذهب لحل العقد، كانت النقود
وفتح البيت مهلكاً لطاقتي؛ لهذا أحمل المستقبل
بين يدي، ذكرٌ أعتني به إن حدث شيئاً، وفتاة
ستنضج ولا أودُّ نضجها على المفاسد، لم يعلم

"أبي" السلطة.. ع مكانك وقدرك عليّ فرؤيتك
منكسرة تؤلم قلبي.

-مَن أراك مِن الحِيَال لكرهك، دام الله شبابك
وُدمتَ لنا بقلبٍ سليمٍ، شقيقٌ بارٌّ بنا، وزوجٌ رائعٌ،
ليتني أرى مثلك لكنك ستختار أنت لنا فلا تنسَ
هذا، وسأحاول الطمأنينة على والدتهما إن جئتُ
لك، ربما تجد أمنا صديقة؛ كي لا تصفعا بالحديثِ
الاذع!

- سأترك الآن؛ كي تسعدي بهاتفك، ولا تنكسري
مجددًا فالفتاة تنكسر من القليل، ربما تلك القلوب
تحتاج للدفي لا للحزن.

رسمت الضحكة النابعة من القلب؛ ليمتلئ قلبه
باليقين، تطلع لـ"إبَاء" المندمجة مع إحدى
الروايات، كلمةً فالأخرى ولا تتحدثُ، شدّها؛
لتنزعج من فعلته:

- تغضبين من هذا الفعلِ وأنا أتحدث منذ وقتٍ!

- نعم؛ لأنني انقطعتُ عن القراءة منذ شهرين وما إن
عدتُ أردتُ استرداد روعي مثلما أفعل.

أضف باستفهام:

- وهل تتعلمين شيئاً منها؟

- بالطبع يا أخي، فلا أقتني عملاً إلا وقد يجذبني

الإقتباس أو الغلاف، أجد روي بين الأوراق

ورائحتها الطيبة لا خبث ولا جراح بها، ربما قد

يؤلمني العمل إن لمس قلبي بشدة، لا أتأذى مثلما

استمع للكلمات، والكتب هي الحياة بالنسبة لي، من

الصغير للكبير، عكفتُ عن حلمي؛ ربما فاشلةٌ فيه

لهذا قطعتها بالقراءة.

-حسناً سأدفع النقود لهذه الكتب الجديدة، أمّا الآن عليك الذهاب معي للتدريب بالمكتب، فلا أودُّ الإنتظار حينما تنهي دراستك، ومن ثم اعتمدي على نفسك.

صدمةٌ بعينها، لم تتوقع الذهاب لعملٍ أولشيءٍ من هذا، ثقةٌ قليلةٌ، وفؤادٌ هشٌّ، ربما تملك اليأس منها في المحافظة الأخرى لكونها عاجزةٌ عن هذا الشيء، تهرب من الجميع، تعلم أنّ هذا العمل يحتاج إلى الضمير الحي اليقظ لا القابل للرشوة والفساد؛ فإن فسدتُ روحها لن تعود كما قبل، أوْجَلَ جنانها وهي صامتةٌ؛ ليجيب بدقةٍ:

-لا تكذبن يا حبيبتي، تحدثي بما يحمله جوفك

أشعر بأسرار كثيرة، فعينيك تمتلئ بالكثير!

-اسمع يا "أخي" .. ربما قلقتُ أمي عليّ وحاول "أبي"

معرفة ما بيّ لكنني تحججتُ بأكذوبة؛ كي لا أفصح

عن قهري، أنا مُفتتة القلب منذ قول تلك الفتاة

بأنني أتحدث مع الرجال وقول الزور من جديد،

سكتُ بإحترامٍ ليس خوفًا من أحدٍ فأنا لا أخشى إلا

الله، ربما تحملتُ الكثير عكس الغير ووضعتُ قوتي،

نظراتُ الشماتة في عين الجميع جعلتني أرفض

الكثير، إن عملتُ معك فلا أودُّ الذهاب للجامعة إلا

بالإختباراتٍ قد يرتاح فؤادي، الغربة قاسية يا

منذر، ظننتها سهلةً لكنها قاسيةٌ من كل النواحي،
أنت تتحمل طاقتي كثيرًا وربما يغيرك الزمن ولا
أشتك أبدًا فإن صرختُ عليّ لن أغضب أبدًا.

استسلم "منذر" لرغبتها، فقد سمع والده ما قالت
خلف الباب؛ ليشير له، تصلح النفس إن تصالحت
مع نفسها وها هي على مشارف الهروب، قبل جبينها
ومن ثم نظر للسماء الممتلئة بالسحاب؛ تحمل ليالي
من البرودة، أردف بأسفٍ:

-أعتذر لك عن الجميع يا مَنْ أحبها القلب حينما
رأها بين يديه، أنا مَنْ سميتك هكذا "إباء" التقية

والمحبوبة من الجميع، لن تذهبن لأي مكانٍ
وسأحاول نقل أوراقكٍ لهنابلا فرارٍ، قد تكون
الرغبات أقسى على القلب، أكملني تلك الرواية ولا
تزعج عقلك من هؤلاء، طفلتي تبتسم دائماً فمن
سيعتني بـ"أميمة" غيرك يا قارئة ولربما يزيدك شيئاً
آخر قريباً، لا تُردد كلمة "ال فشل" كلمة قاسية عليكِ
وعلى غيرك، لا فاشلاً بهذا العالم سوى القلوب
الحاقدة، الكلمة القاسية لا تتحدثي بها قط؛ لأنها
تصبح ثابتةً في العقل ولا تمحو بسهولة.

غادربعد يومٍ طويلٍ، يومياً من الصباح الباكر لليل،
يمضي لمنزله من أجل رؤية العائلة، ومن ثم يجلبُ

ما يحتاج البيت كل ليلة، يُدرب ويساعد مَنْ يحتاج،
لا ينم إلا القليل ولا يغادر غرفةً، صار كالبيت لا يودُّ
هدمه وهو مَنْ تربى على الوحدة.

فالرجال لا يتهاونوا في أي شيء، قد يستمعوا لأبشع
الكلام، وقد يحدث العكس لكنه بالنهاية مسئولٌ
عن الجميع، لا يغادر مكانًا إلا ويصبح هادئًا، يحاول
تهذيب نفسه ورؤية الجميع بأعينٍ واحدةٍ، هكذا
هو، وسيمُّ ورائعٌ، يغار على البيت وزوجته، ويهتم بما
يحبون، لكنه لا يدر الحقيقة بعد!

الفصل الرابع "التائب"

"نفوسنا تُشبهُ القماش الأبيض لا تغمرها سوادٌ ولا
تتغلغلُ بين الهواء، هكذا نحن نخلق بأول يومٍ لا
نعلم حالنا، بالكادِ نعلم أسمائنا بعد عامٍ، نردد
بتلقائيةٍ، نبتسم كالأزهار اللينة لا تغمرها الشدة ولا
تمتليء بالبغيضِ واللعناتِ"

**

أيامٌ مضتُ عليه وهو في حالة العتاب الداخلي
لنفسه، لا ينكر قلة حيلته حينما ضعف أمام
وسواس الشيطان، انكسر كُلمًا تذكر نفوذ عائلة

أبيه ومدى تحكمها بعقله أين يسير، أين يسكن،
 ماذا يفعل، تمادى على أخيه وصفعة بالرحمة، لا
 ينطق ويتقبلها بكل بساطة، بكى بحرقه وهو يشعر
 بالذنب تجاه شقيقه ووالدته التي أهملت صحتها
 من أجلهما، يشعر بالذنوب وأنه عاق حينما سلك
 طريقاً غير طريقه، وكأنه مقيد بأغلال اليأس،
 ضعيف أنت حينما تتماذى بالفارغ، صوت يوحى
 بالضعف، وقلب ينهش الغير بشراسة، دموع الرجال
 غالية وليس ضعفاً من أحد أن يبك، قد يكون
 شفاءً وقد يكون قوةً باليقين، بكى الرسول صل الله
 عليه وسلم على عمه وزوجته، كانا سنداً وقوةً له.

أمّا هوفّر من الجميع، أياماً لا يتكلم مع شخصٍ
 واحدٍ عاد بذاكرته وهو يسرع من خطاه؛ كي ينقذ
 تلكَ الطفلة المحتضنة بدميتها، حاول بالإشارة
 ليفشل، ثانيةً واحدةً كانت الفاصلة ليدهسها
 السائق بلا رحمةٍ، دماؤها وصراخ والديها، أخذ
 يضرب السائق بقوةٍ، قهرٌ وهو يراها مرمية وكأنها
 ضيفةٌ عليه، هاتف الشرطة وقبض على الرجل،
 شعر بالوحدة ومن أفعال الآباء، لا يحق لهم ترك
 أطفالهم بالطرق، غيرهم يتلهفون على صغيرٍ يضيء
 حياتهم، كان ببداية الهلوسة إن تناول تلك
 العقاقير؛ ليقذفها بوجه البائع، ألقى نقوده؛ ليجر
 قدميه بخيبة أمل، لم يجد إلا ابن عمه النقي، لا

يحمل السواد بعينيه، ويحبه كثيرًا، تائه.. تائب..

تالف من الداخل!

أفاق حينما هدر "عبد الله" بالحاج:

- "سفيان" .. أنا واقفٌ وأنت شاردٌ في حالك، إلى متى

ستنقطع عن الطعام؟!

صمت مجددًا؛ ليغادر بقلبي على حالته، سلم أمره

لله ومن ثم توجه لعمله، يكره من يبغض الغير ولم

يتأذى أحدًا من عائلته إلا وقد دُمر، ليتنا نختار

العائلة كالأشياء التي نحيا، تهمُّ وأقوالٌ من الألم

للغير.

"من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه"

أخذتُ تُردد تلك المقولة حينما أغلق الموقع الخاص
بعملها، ابتسمتُ "نبأ" من جديدٍ وهى ترتدي عبائتها،
فالبيت نائمٌ وقد تشاجرتُ والدتها مع "إباء" من
أجل شراء الخبز لكنها رفضت بحجة الصباح
الباكر، ومن حسن حظها وجدتُ المخبز فارغ قليلاً،
جلبتُ لها بعض المعجنات الصغيرة "البيتزا" ومن
ثم أتت بشراء شطائر الفلافل والفلول تلك الأشياء
التي تسعد شهيتنا ومذاقها
الشهي، صعدتُ البناية مسرعةً؛ لتجد "إباء" واثبةً
بملاحٍ طفولية:

-هل نزلت بدوني من جديد؟!-

-وهل أستطيع أن أعيش بدونك يا بُنيّتي، استغلّيتُ
والداي ومن ثم فعلتُ كأي فتاة، تناولت هذه
الشطائر ورثت البيت ومن ثم ستذهبن لأخيك كما
أخبرك، وأنا سأطهي وسأغادر من أجل أوراق
العمل.

دقائق معدودة؛ لتضيء "ميمونة" القرآن ليجلسوا
جميعًا على طاولة واحدة بعد أيام من الرفض
والحزن، ارتدت "إباء" ثيابها المكونة من بنطالٍ واسعٍ
يعلوه فستان يصل لنصف قدميها وزينت بحجابها

الأسود، الطرق مزدحمة والشوارع كثيفة بالسكان،
وقفتُ ساعةً دون حراكٍ إلى أن أتى الأتوبيس
الخاص.

تهدتُ بأرقٍ حينما وصلتُ لعملٍ شقيقها، صعدت
لترى مكانًا نظيفًا للغاية رائحته مملوءةً بالتعقيم،
ألقت السلام بداخلها، شاهدت ركنًا خاصًا بالكتبِ
الحديثة؛ لتلامسها بشغفٍ، أتى صوتًا من خلفها:

-لمَّا تلامسين أشياءي؟! ومَن أنتِ?!

أدارت ظهرها؛ لتجدُ شابًا عاقدًا يديه بنظارةٍ، ذقنٌ

قليلةٌ، عاتبتُ نفسها محاولةً الإجابة، نطقتُ بقلبي:

-إباء، أنا أعتذر حقًا لم أكن أعرف أنها لك، ظننتُ

أنَّ أخي فعلها لمن يأتي، أعلم أن البعض لا يحب لمس

تلك الأرواح الصادقة، أسفة حقًا.

-على رسلك يكفي اسمك فقد أخبرني "منذر" بذلك،

على العموم سيأتي بعد ساعتين؛ لأنه بالمحكمة،

أدعى "بارق" وقد أكون مساعده الأول، وعلى يمينك

مكتبٌ خاصٌ بالفتياتِ أحدهما تدعى "هاجر"

والثانية "تقى" لكنهما في عطلةٍ لحين عودتهم

للدراصة.

-مهلاً.. أنتَ مَنْ صفعك أخاك؟! وكيف عرفت

اسمي؟!

رمقها بجانب عينيه، ليجيب بحدة:

-ليس لك شأنًا بهذه الأمور، سأذهب لمكتبي يا أنسة

إن احتجت شيئاً؛ فلتخبريني ولا تصدر صوتاً.. فأنا

أكره الثثرة.

تجمدتُ الدماء بعروقها ما إن ذهب من أمامها،

جلستُ على أقرب مقعد تحاول كبح دموعها،

دفعتها تلقائيتها لفضولها الزائد؛ مما جعلها صغيرةً

بأعين رفيق أخيها، اعترفتُ بخطأها؛ لتجر قدميها

لمكتبه، طرقتُ المكتبَ عدة مرات ليجيب بغضبٍ

دون أن يراها:

-لم تمر الساعتين بعد، من فضلك اذهبي لمكتبك؛

فهناك قضية تركتها لك، وحينما يصدر أخوك

صوتًا اذهبي إليه.

تملك الغضب منه لكنه صمت أمامها، يعلم أنها

أسكتها بحدةٍ وقد رأى بها اللطف لكن الجنس الآخر

يشكل عقدةً له، حاول التركيز؛ لينجح في إتمام

القضايا بشكلٍ كبيرٍ، برع في القضايا الإدارية ولازال

يطمح في منصبٍ، شعر ببعض الملل ليقرر فعل

مشروبًا ساخنًا، لمح "منذر" بالمكتب ليقص عليه ما حدث، ابتسم مجيبًا:

-صاحب الحق عينيه قوية يا فتى، تحسب أنني مستاءًا منك لكنك على حق، اتركها فهي ستأتي لي وستعتذر لك، هداً من روعك قليلاً وكن هادئاً معها؛ لأنها تشعر بالضعف، أعلم أنك لا تحبذ هذه الأمور لكن بالعمل يجب الإختلاط والمرونة، كي تعرف الآخر.

وضع يديه بنظارتته؛ ليستجيب له:

-اسمع سأعاملها برفقٍ، وسأساعدها، شعرتُ
حينما طرقت لتعتذر، يبدو أنّك ستجبرني على
شيءٍ، أرح عقلك لحين دخول أصحاب القضايا.

أوما برأسه ذاهبًا إليها، وجدها مندمجةً بالأوراق..
حمحم؛ لترفع رأسها قائلة:

-هل أتى أخى من فضلك؟!

-اسمعي، أنا أبغض الفتيات بشكلٍ كبيرٍ ولا أودُّ
حدوث مشكلات بيننا في العمل، أنا أعتذر عن
صارمتي وأدرك مدى تلقائية قلبك، لكن عائلتي

خطُّ أحمرهما فعلا بيّ، ولكونك أنثى تحبين الكتب
فلا تبكين على الفارغ، في القانون لا يصح اللين
والحنو يوجد به في بعض الأحيان الكذب والخداع،
حاولي الفصل بين حياتك العملية والشخصية،
أسف مجددًا لحضرتك.

اضطرب قلبها لهيئته، هي المخطئة واعتذر، قررت
إكمال القضية لحين إنتهاء وقت العمل، عينيه،
حديثه المر، والأسف على الفارغ، شلّ عقلها
محاولة الهروب من هذا الفتى، ما يبهج قلبها حقًا
هو التعامل ورائحة الكتب بجوارها، فتحت
مستندًا جديدًا بعنوان "البداية":

"تأنف مكتب أخي من ستِ غرفٍ لمحتهم بسرعة،
ألوانٌ وروائحٌ تجلب النفس لما تحب، برغم ما حدث
إلا أن قلبي مطمئن للغاية، به اليقين بأنني سأتغير
للأفضل، ربما لم أختلطُ بالبشر كثيراً وقد يسير
فضولي للهلاك، أحاول جاهدةً البقاء بروحي النقية
بلا قسوة من الغير."

«سلامٌ للقلوبِ التائبة بلا خداعٍ من جديدٍ»

خشع "سفيان" بالصلاة وهو يحمل همًا كثيفًا،
احتضن المصحف وهو يقرأ بصمتٍ بعدما أنهى
صلاته، أخذ يتذكر والده وكيف مارس جميع

الأعمال من أجلهم، إلى أن أتت الصاعقة حينما
تلقى خبر موته، كان سارحاً بالهاتف يلهو على أحد
الألعاب الإلكترونية؛ ليتفاجأ بمهاتفه خاله، يوم
شديد حينما حمل أباه بين يديه للقبر، تهمت الروح
حينما يغادرنا الأحباب، فلا ندرك القيمة الحقيقية
لهم إلا بفراغ البيت، مجرد صور مرسومة تبكيها،
نعوذ بذاكرتنا ونتذكر أفعالنا كلما أضاءت
بالتجمعات المرتكزة حول طاولة لا يملؤها الأرق
والتعب.

لام عقله حينما تراجع بعمله؛ ليقرر العودة بقوة
مهما كان الجزاء، دعا بالتوبة؛ لشفاء قلبه وروحه

وكأنه يحمل الخفايا بين يديه انبثق الأمل بجسده؛
ليقرر الخروج من كنفه، فتح غرفته ليرى الشقة
بوضوح،

أ"عبد الله" يجلس وحيداً بين الحيطان؟!!

أم هذا نتاج السرفي نفوس عائلته لكونهم شباباً
لهم من الإرث الكثير؟

نعم إنه الميراث الذي يفرقه الغير وقد يأخذه الجميع
بلا رحمةٍ للأيتام، يقولون الكلمة كميثاقٍ ومن ثم
يخالفوا العهود، يؤلمونا ويصرخون بجوهنا وهم
فرحين، أي قلبٌ هذا الذي يحقد على دماءٍ موحدة،
ارتدى ثيابه؛ ليزيح الغبار من عينيه من الآن.

على الجانب الآخر تفرغت "نبأ" وهي تزيح الثياب
الصيفية من أجل إخراج آلة الخياطة الخاصة بها،
ومن ثم أزاحت الأدوية والأقلام ليكون "الكومود"
هو الركن الخاص بتلك المكيئة، كادت أن تكمل
لتستمع لأنين أبيها، فهرولت إليه، رأت والدتها تقطع
الخضروات؛ لتخذيها لتجلس بجوار أبيها
بإستفهام، يعلم ما يدور بعقلها ولمّا يحدثها الآن،
أردف بحب:

-حينما حملتُك بين يدي كنتُ فرحًا للغاية بعدما
رزقني الله بأخيك، حاولتُ تعبئة عقلك لكنني
رفضتُ من الإكتراث؛ كي لا تملين مني، رأيتُ حزنك

وسعادتك، وعودتك من جديدٍ، أخطأتُ بحقك
لكنني أُحبك يا قرة العين، أنتِ وشقيقاتك قطعة
مني فلا تغفلا عن قلوبكم، ربما تلك التجربة أفاقتُ
عقلك.

-لا يا أبي لا تقل هكذا، أنت أمان البيت وقوتنا،
نحن من نعتذرو لستُ أنتَ، أنت والدي الصادق لا
خبث فيك ولا تودُّ جرحنا عكس الغير، ربما تبغض
شقيقتك من أفعالها المشينة بحق أمي فنسكتُ في
حضرتك، نحن نحتاج إليك دائماً فوجودك يملئ
البيت بالطمأنينة بدونك نفقد أرواحنا المرحلة
معك.. ثم أنني أشتاق لرائحة المخبوزات من يديك.

-بالغد سأفعل لك ما تريدن، والآن كيف حال

هاتفك الجديد!

-كرة قدم ثانيةً يا أبي!

ضحكتُ بمرحٍ وهي تشغل إحدى المباريات الخاصة

بالفريقين، جلستُ بجوار والدتها وهي تقطع معها؛

ليصدر جرس الباب، فُتحتُ؛ لترتجف يديها من

الصدمة، مَنْ يجرح قلوبنا لا يغادر قط إلا بالجرح!

الفصل الخامس

"الْرِقة تُكمن في الجسدِ النقي"

"تتألم القلوب كِلْمًا لاحت الذكرى السيئة على
العقل، فتعود لليأس والعويل وكأنك فقد عزيزٌ
عليك"

**

وقفتُ كالصنم لا تتحدث حينما برزتُ "إيمان"
أمامها، لاحتُ المواقف من معرفتها بهذا الشاب إلى
أن أودتها في طريقٍ على حافة الهلاك، أغمضتُ
محاولةً التخلص منها:

-لن تدخلني منزلي بعدما سرقت مني عامين من
الوجع بدايته أنت أيتها الأنانية، أنت إنسانة لا
تعرف معنى السلام وقد أدخلتك بيتي بطمأنينة
القلب فكنت كالحية تتلونين حول أشياء، عرفت
شاباً يحمل الدنومناك، ليتني سمعتُ أمي ولم
أنصتُ لقلبي، لا تأتين هنا مجدداً فقد أمتي الجميع
في كل شيء.

صرختُ بوجهها وهي تغادر من أمامها، ولحسن
الحظ هرولت إليها "إباء" حينما عادت؛ لتستكين
بين أحضانها النقية، حدثتُ نفسها عن هذه التي
دارت حولها ولم تراع حرمة البيت، استسلمتُ

للنوم؛ لتُزِيح رأسها على الوسادة، بدلت ثيابها ومن

ثم تناولتْ بعض الطعام، عادتْ لـ "نبأ"؛ لتتذكر

يومها.. على أعتاب العشرين تتغير الأحلام والتفكير؛

فكيف مضى العمر في غمضة عين؟!!

كيف بزغ النور ولم يُضيء الدرب بعد؟! وضعتْ

الغطاء ومن ثم اندستُ أسفلهُ.

أ"نبأ" صحيحةً في تصرفها أم أخطأت؟!!

هل صمت أُمي صوابًا؟!!

تساؤلاتٌ في عقلها؛ ليضطرب جسدها إثر عشةٍ،

أرادتْ ترك العنان لقلمها لتسحب بهدوءٍ:

"وكان الأقاويل لا نسمعها إلا بعد فوات الأوان،
بالأمس قد استمعتُ لحديث شقيقتي بالمِ يغزو
وقلبها ولم يأتي لي إلا" ليتني سمعتُ أمي ولم أنصتُ
لقلبي!"

حقًا نحن الأبناء نجهل القلوب القاسية.. نجهل
الأيام ونستمتع بالرفقاء على الحدى، تألم فؤادي
قليلاً حينما تحدثتُ بشيءٍ لا شأن ليّ به، وها أنا
قلقة عليّ من الصداقة الهالكة، سنحتُ شقيقتي
قبل عامين لفتاة تدعى "إيمان" حاولتُ تقبلها مرارًا
ولم أستطع، وكان قلبي رفضها، كانت تتطلع لبيتنا
بأعين حاقدة أدركتها منذ البداية إلى أن رأت شابًا

يسمى "هيثم"، حاول إستدراجها؛ ليفشل في الوقت
الأخير، تأملت كثيراً من هذا الفتى، رجالٌ يداعبون
الإناث وكأنهن سلعةً رخيصة لا رحمة ولا حب
بصدقٍ، حينها علمتُ من أمي ماذا فعلت تلك بهما.

وها أنا أراها تحاول، تُريد الحب لا أرى إلا ذلك،
كانت شرسةً ولا أودُّ إلا شرستها التي علمتني إياها،
الأمهات صادقَةٌ دائماً لا يروا إلا الصواب، ونحن
نقاوم حتى النهاية، لم أنسَ الأم التي حزنت على
أبنائها، يتردد صوت الشجار بأذني، قهر الرجال
قاسياً في الرحيل، مهما كانت الجريرة فهو سن
الرشد والتغير، صدق أبي حينما بعد عن الثعبان

المتلون حوله، لكنه بالعقول، كم أردتُ الطمأنينة
دائمًا".

هدلتُ الشمس سريعًا وهى تصلي وتؤدي وردها؛ من
أجل قلبها لترمش عينها بأرقٍ نتيجة إنعكاس نومها،
تناولتُ إحدى الأقراص مرتديةً ثيابها بعدما سمح
"منذر" بنسخةٍ من المفتاح، تركت الكلمات على
الطاولة، كي لا تقلق والديها.

"بكيت بحرقه، كأني ركضتُ كل الطريق وغيري وصل"

-الطحان

رجع "سفيان" من جديد لعمله؛ فكان دائبًا بلا مللٍ،
 عملٌ فالثاني فالثالث؛ كي ينهي المشاريع بعدما
 تأخرت، تميز بشعرٍ قصيرٍ أسود اللون، عينان من
 اللون البني الداكن، ونحف جسده كثيرًا بعدما منع
 الطعام، هرب من الماضي بالدوام، لكنه منشغلٌ
 بأمٍ تفكر عليه مهما فعل، أقسم أن يكون ابنًا وأبًا
 لينًا بالمستقبل، أوشك على الإنهاء؛ ليجد "عبد
 الله" واقفًا بإحدى أكواب الشاي، اختلفت الطباع
 ولم تتغير الخصال؛ فكان الآخر مبرمجًا بنفس
 الشركة لكنهما يخفيا قرابتهم كي لا تنقطع الصلة.
 نطق بلهفة: -كيف أنهيتُ سريعًا؟! هل ستغادر
 بدوني يا صاح!

-لا يا أخي، إنه عمل الشهر الماضي وقد مد المدير لي
فترةً وها أنا بأخر ملفٍ؛ كي أنزل مكان العمل، ولن
أغادر بدونك فقد اشتقتُ لأخي، ستمكث معنا لا
يصح وحدتك تلك، اترك شقتك لمن تشاركها
أيامك.

رفع إحدى حاجبيه مجيبًا:

-أنا رجلٌ أتناول و أقوم بترتيب بيتي، لمَّا أرهق روحي
مع أنثى تُصبح وتمسي بالصراخ، ثم ما هذا التغيير
المفاجئ؟!

رقت ملامح "سفيان" ليصمتُ قبل أن يغادر، فضل
السكوت؛ كي لا يرفضه الآخرين، لكنه يتمزق كُلياً
ولا يعلم أنّ الفرج يأتي عاجلاً، مَنْ سلّم أمره لله فلا
بئس عليه.

"كي تحكم زمام أمورك يجب أن تُفكر أولاً بالعقل حينما
يتملك القلب منك"

اخترق الأمل دروب فؤادها؛ لتسير كالفراشة بلا
قيود، ومن حسن حظها كان الطريق فارغاً من المارة
في الغروب، اتخذت طرقاً عديدة للوصول لأقرب
متجرٍ من الخيوط والخرز اليدوي، ولجّت وهي

تتطلع للزجاج وما يحتويه من ألوانٍ زاهية، فضلت
أن تتنوع في الثياب؛ لتجلب الخيوط الزرقاء
بدرجاتها ومن ثم ألوان الإناث كـ"القرمزي،
البنفسجي، الأخضر الغامق، الأبيض، الأسود"
اكتفت بتلك الألوان ومن ثم توجهت لعمل
شقيقها؛ لقرب المكان منها.

ترصدت "نبأ" ملامحاً لم تنساها قط، غمغت
بداخلها في "سفيان" الواقف بعدما قص "منذر"
جزءاً من أفعاله، شعرت بتغير طراً عليه، الخوف..
نعم فالخوف يشبه النار إن لامستها تحترق وتراجع،
قررت أن تُساعده في هذا الشيء، ربما تكره الذكور

كُلَّمَا تَذَكَّرَ الْخِيَانَةَ مِنْهُمْ، حَمَحَتْ بِهَدْوٍ؛ لِيَلْتَفِتَ
إِلَيْهَا، تَطَّلِعَ إِلَيْهَا لِيَرَاهَا بِثِيَابِهَا الْمَكُونَةَ مِنْ فَسْتَانٍ لَا
يَبْرُزُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْهَا، تَحْمِلُ حَقِيبَةً ظَهْرِيَّةً، وَوَجْهَهَا
خَالِيٌّ مِنْ أَيِّ مَسَاحِيْقٍ، اخْتَنَقَ بِدَاخِلِهِ وَهُوَ يَحَاوِلُ
الْبُعْدَ عَنِ الشَّهْوَاتِ؛ لِيَنْصَدِمَ حِينَمَا تَحْدُثُ:

-رَبِّمَا تَغَاوَزَ الْفَتِيَّاتُ بَعْدَمَا صَفَعَتْ أَخَاكَ
الصَّامِتَ، عَلَى الْعَمُومِ وَقَفْتِكَ تِلْكَ لَنْ تَحِلَّ
أَفْعَالُكَ، هَجَرْتَ اثْنَانِ يَحِبُّونَكَ وَأَنْتَ هَارِبٌ.

-كَيْفَ تَحْدِثُنِي هَكَذَا؟! وَمَنْ أَنْتِ؟!

تَأْفَفْتُ؛ لِتَجِيبَ بِرُودٍ:

-على رسلك أيها التائب، سرأمامي و اترك الخوف
الآن، الطابق الثالث، ولا تنظر بشروري؛ لأن الشر
بقلبك.

جُن حينما نطقت بهذا الشكل، تحرك أمامها
بصمتٍ تامٍ، لتشير بيديها يمينًا، صُدم قليلاً حينما
هرولت لأخيها بلوعةٍ؛ ليثبت عينيه حوله، طأطأ
رأسه حينما علم هويتها؛ لينطق "منذر" بحدّة:

-رأيتك وأنت تختلس النظرات لشقيقتي، وكنتُ
أسمع حديثكما في تلك الدقائق، ولا تنظر بشراسةٍ

إليّ، أعلم أنك تغيرتُ وتريد المساعدة لكنك متكبرٌ
ولا تواجه أمورك كما اعتدتُ منك، غادر "بارق"؛
كي يؤدي عملاً ولا يوجد غيري هنا، ومَن تراها تلك
مَن أنقذت والدتك أيها العابث، هل ستقف هكذا؟!
خذي هذه السماعة وارفعي صوتها؛ كي لا تنصتِ
لباقى الحديث.. أو اخرجي لحين الإنهاء أيتها
المصونة!

إِسْتَجَابَتْ لِمَطْلَبِ شَقِيقِهَا، لِيَجْلِسَ أَمَامَهُ نَاطِقًا:

-أعلم أنني قاسٌ في عينيكِ وربما تلك الأيام علمتني
الكثير، تذكرتُ طيبتك مع الجميع وأولادك.. لأكون

صَادِقًا تَغَيَّرْتُ حِينَ مَا حَمَلْتُ بَيْنَ يَدَيِ قِطْعَةٍ صَغِيرَةٍ،
أَهْمَلَهَا وَالِدِيهَا عَبْرَ الطَّرِيقِ لَمْ أُسْتَطِيعَ فَعَلَ شَيْئًا
لَهَا، كُنْتُ تَائِهًا وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي دِمَائِهَا.. نَدَمٌ وَالِدِيهَا..
قَهْرِي وَقَلَّةُ حِيلَتِي، أَخَذَنِي الشَّرْطِيُّ لِقِسْمِ الشَّرْطَةِ
وَقَدْ أَفْرَغْتُ مَا رَأَيْتُهُ كَامِلًا وَمِنْ كَذِبِ السَّائِقِ عَلَى
الْجَمِيعِ؛ كَيْ يَبْرَأَ مِنْ مَقْتَلِ الطِّفْلِ، هَا هُوَ الْآنَ فِي
مُدَّةِ الْحَبْسِ الْمُؤَقَّتَةِ؛ لِيَرْحَلَ لِلسَّجْنِ، شَعَرْتُ بِنِيرَانٍ؛
لأَخْرَجَ مِنْ صَوْمَعَةٍ قَدْ قِيدَتْ بِهَا، رَحَلْتُ لِابْنِ عَمِّي
وَمَكَّثْتُ مَعَهُ، كَانَ سَبِيلِي وَهَرُوبِي الْوَحِيدَ.

عَدْتُ لِعَمَلِي بِالصَّبَاحِ وَمَارَسْتُ هَوِيَّتِي، لَأَزِلْتُ
أَعَاقِبَ نَفْسِي؛ لِهَذَا جِئْتُ لِأَخِي، أَنْتَ قَوْلْتَ:

"أما عنك فقد تخطت حدودك يا "سفيان"،
سئمتُ أفعالك وضربك المتتالي لـ "بارق"، تسرق
نقوده ويصمت، تؤذيه ويكمل بقهرٍ عليك، ألا تهتم
للشقق والناس النائمين، لستَ رجلاً هكذا!".

أقسم لك أنني لستُ سارقاً، لستُ قاصداً إيذاء
روحي، هو قطعة مني والله، ربما تلك الحبة التي
تناولتها جعلت مني فتى مهلوساً في الحديث، النقود
بثيابي، قلت أنني لستَ رجلاً.. أدرك خطأي وذنوبي
لكنني لستُ الوحيد، أنت صالحٌ دائماً يا "منذر"؟!
ألم تفعل أي شيءٍ خاطئ!

أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ، ليشعر بما يقول، احتضنه بين
ضلوعه لطالما كان رفيقاً له في الصغر ولم يفارقه إلا
حينما تغيرت الحياة وتغيرت النفوس، أردف محاولاً
تغير الحديث:

-المناديل غالية يا صاح، إن بكيت ثانيةً سيمتلئ
مكتبي بالمياه..!

لاحت البسمة من جديدٍ وهو يزيل دموعه؛ ليتحدث
بحدة:

-لكن شقيقتك قاسية الطباع، تعاملني كطفلٍ لم
يبلغ بعد، ثم ما معنى مصونتي؟! وكيف حدثها
عني؟!!

-قد تتلقى خذلاً من القريبِ بلا ذرة حبٍ بقلبك،
هكذا هي لا يُمكنني الإفصاح عنها بغريبٍ، أعلم أنّك
رفيقي منذ الصغر وربما لا يعرف أحداً بهذا، لكن
إن لامستُ الأمور المتعلقة بشقيقتي فمهما كان
الشخص سأقتلع عينيه إن تكلم عنها هي وشقيقتها،
هن مصونة قلبي، أن تمتلك أنثى تحملها بين يديك،
ترّبت وزُينت المنزل بروحها، فلا تودُّ إلا الحب
والتضحية من أجلها، إن تطلعت لأحدهن بنظرةٍ
توحي بفعل الخطأ أشعر بالذنب فإن فعلت خطيئة
مهما كانت.. ستجدها أمام عينيك، أن أحدها من
الغير.

تهمد بجديّة: أنا لم أحدثها عنك، بل حدثتها عن
مصائبك، لهذا لا تُطيقك أبداً حتى وإن كنتُ
صواباً، هي لا تُطيق نفسها بالأساس!

-لا أخفي عنك سراً، لم أختلس النظرات لها، بل
شعرتُ برجفةٍ بأوصالي، فمَن قابلتهن لا يتحدثن إلا
بأسلوبٍ يحمل الغيرة والحقد، ربما اضطرب قلبي
قليلاً من حديثها، بأي حالٍ.. مَن يملك مثلك
محظوظٌ للغاية.

تمعن النظر بعينيه، لقد أضاء كالسابق وهذا يعني
أنه على حقٍ، ليس افتراءً عليه، أما الآخر سبح في

هيئة الكتب المتراصة بحجرته، يبغض دراسة
الحقوق عكس أخيه، لطالما عشق الهندسة
والتفتح في مجالاتها، تعلق الشغف بفؤاده حينما
شعرتك الكتب الأخرى، فكيف لطالب الحقوق
أن يقرأ القانون وغيره.

على الناحية الأخرى حاولت "نبأ" استرداد حسابها؛
لتفشل من جديدٍ، ولجتُ والدموع تملئ مقلتيها:

-أخي، لقد فقدتُ حسابي الخاص بعملي، حاولتُ
ولم أستطع، وإن فعلتُ حسابًا جديدًا سأنتظر
عامين آخرين.

أمسك هاتفها محاولاً البحث عن اسم مدونتها
الخاص، لم يرَ أي شيئاً باسمها، حاول التذكرة وهو
يلملمُ الزجاج المنكسر من الهاتف، نطق بحنو:

-أعتذر لقد حذفها بعدما فعلت ما فعلتية وقد
نسيْتُ، لقد وضعتُ لك حساباً منذ عامٍ به عملك
وأراء الغير، لكنك تحتاجين لبارع من التكنولوجيا
ولا أظن أنك على خبرة بهذا!

نكستُ رأسها؛ ليغادر "سفيان" بحجةٍ وهو يحمل
بعقله الكثير، كيف لمثلها أن تجهل تلك الأمور؟!
وماذا فعلت؟! لِمَا يفكر عقله في أمورٍ لا تمت له من
الأساس؟!!

الفصل السادس "مُجازفة"

"أَنْ تَوْمنَ بِصَدقِ أَحلامِكَ لَيسَ طَموحًا فَحَسبَ،

بَلِ دَرَبٌ يَنتَظِرُ خَطوَ اتِّكَ أَنْتَ"

صعد "سفيان" العُمارَةَ وهو يطرق بهدوءٍ، حَسَبَ

أَنْ شَقيقَهُ سَيفِتحُ كَكلِ مَرَّةٍ؛ لِيُفاجَأَ بِوالِدَتِهِ واثبَةً

بِأَعينِ مِنَ الفَرحَةِ والطَمانِينَةِ بَعَدَما عادَ، ارتمى

بِأَحضانِها لِيَدخُلَ مَطلَعًا يَمِينًا، تَكونَ البَيتَ مِنَ

غَرفَتَينِ إِحداهُما خَاصَةً بِهِما، سَكنَ أَحضانِها؛

لِيَغفلَ بَينَها، وَجدَ الأمانَ في ضلوعِها مِنَ جَديدٍ.

عَلِمَ "بارق" بعودته؛ ليتردد في دخول المنزل، ليصعد للطابق الأخير بعدما أبرم العقد الخاص بتلك الشقة، كانت محترقةً بالجزء الأمامي؛ ليقرر إعادة هيتها من جديد، تكونت البناية من ستة أدوار بكل طابق شقتين، مرَّ أسبوعٌ وهو يتتبع جدولهُ؛ كي لا يرى "سفيان"، فالإنسان لا يتغير في أيام!، اضطر "بارق" للموافقة على تعيينه بالترم الثاني في شرح إحدى المواد المدنية من أجل المال، يومً بالأسبوع كفيلٌ بشعور الضيق بنفسه، كم يكره ذلك العمل ونظرات الحاقدين له.

شعر بالبرودة الشديدة بعدما استيقظ إثر نومه
بالأرض، ليحمل حقيبته ومن ثم وضع الكوفية
حول رقبته؛ كي لا يصاب بالزكام، نزل مسرعاً؛
ليزتطمَ بظهر أخيه بغير قصدٍ، نطق "سفيان"
باشتياقٍ:

-أتهرب مني يا أخي؟!

-من الهارب ومن الحقيقي يا سفيان، أنا أهرب من
مواجهتك؛ كي لا أؤزقك بصرامتي، من فضلك
اتركني فقد غرقتُ قدماي الآن.. هذا ليس وقتاً
للحديث!

هدر بقوة: مَّا تَضَعُ أَمَامِي، مَّا لَا تَحْدِثُنِي، سِرَّ
أَمَامِي لِهَذَا الْمَتْجَرِ وَمِنْ ثَمَّ أَتْرَكُهَا لِلَّهِ لَا تَعَانِدْنِي.

ولج اثنتهما لمتجر القهوة المقارب لعمل "سفيان"؛
اختطف الأنظار ليشعر بالدفء حينما تصاعدت
أبخرة القهوة بأنفه، وضع يديه حول الكوب ليجد
أموالاً أمامه، اهتز بارق إثر فعله أخيه:

-ضعهم بحقيبتك سريعاً ومن ثم اسمعني، الفارق
ثلاث سنواتٍ لكنك أمهر مني في عدة أشياء، لن أكرر
حديثي معك؛ لأنك أنقى بكثيرٍ وتعلم ما بجوفي، أنا
أحبك ولا أجدك أمامي إلا وقد شعرتُ بالغضبِ من

الجميع، ربما تحملتُ مني عدواني عليك لكنك
الشعلة المضيئة يا أخي، انفصلتُ عنك؛ كي أشعر
بالراحة لا ظلمك معي، تلك العقاقير قذفتها وعدتُ
لمَ كُنْتُ عليه، كما علمتُ ماذا فعلت بمالك لهذا
سنتشارك سويًا ما نُحب من جديدٍ، لا تختلس
النظراتِ بتلك النظارة، لا أودُّ منك النطق، لكنني
أرغب في الذهاب معك لمنذر، فهذه الأجواء لن
يعمل مندر فيها.. واحتضانك.. اشتقتُ إليك كثيرًا.

رفع إحدى حاجبيه، مُجيبًا:

-وهل يُمكنني الانفصال عنك أيها الرفيق؟!-

سارا سويًا بقلوبٍ تحمل الشوق، ربما تُطمس
روحك وتعتم بمفردك، فلا تجدُ مَنْ يشاركك مَا
تُحب، لكن الذات منفردةٌ لا تشبه الآخر ولا تهرب
من عقلك، تزايد الشتاء وفرغت الشوارع كُليًا من
المارة، داعبت القطرات خصلات "سفيان" وكأنها
تشفيه وتُلبى مَا يريد وما يتمنى للجميع.

على الجانب الآخر انتهزت "تقى" انفرادها بالمكتب؛
لتصلي خلسةً قبل وصول الجميع، فقد أتى دورها
من جديدٍ بعدما اطمأن "منذر" بعودتها، ولحسن
حظها وصلت قرابة السابعة قبل هطول الأمطار

القوية، عكس "إباء" التي وضعت رأسها قليلاً بعدما
تلقت الأمطار عليها، انتهت لصوت "تقى" لكنها
عجزت بالرد؛ لتدرك أنها ترتعش من ثيابها المغمورة
بالمياه، أحضرت بعض القهوة الساخنة؛ ليتناول
كلاهما بهدوءٍ تامٍ.

"في ليلةٍ قد يتغيرُ طريقكَ للأبدِ، يحمل الكثيرُ من
الإختباراتِ القاسيةِ كـ ليالي الشتاء الباردة، لا
تحاول وتتوقف عن إحدى طموحاتك، ربما تبتئس
لكونك منفردًا برحلتك؛ لتُنكرَ طريقك أينما كان"

الوحدة قاتلةٌ مهما كان لديك، تشبه الجدران
 الخالية من أصواتِ الدفءِ والحنو، تشبثت "نبا"
 بثيابها؛ لترتدي معطفًا عليها، ولجت للشرفة ليهتز
 جسدها إثر الهواء البارد، تشعر بضيقٍ كلما تحمل
 أباه عبات عمّها وطريقتهما؛ ليصبح مصارعًا
 للأمراض المزمنة، أهمل الدواء وتملك الحزن منه،
 كل راحةٍ ترتجف أوصالها، هل يُمكن أن يبغضها
 شخصًا في المستقبل؟! هل ستشبه أمها التي
 حملت حديثها؟! الحزن الحقيقي في الحديث
 المكروه للكبار، يكبرون إثر الزمن وتمتلىء الوجوه
 بالتجاعيد نتيجة الألم، أغلقت النافذة وهي تسير
 بكل ركنٍ، رتبت الثياب بالخزينة ومن ثم أعدت
 طعام الغداء، دخلت لغرفتها وهي تحمل عاتقًا كبيرًا

بعدهما قررت تفصيل إحدى الفساتين لشقيقتها،
أن تُهادي ما تحب يسعد الفؤاد فكيف إن كانت
شقيقتك؟!

قررت ترتيب الألوان المكونة من الأسود والبنفسجي
الفاتح بالأسفل مع الأبيض، ومن ثم بدأت بالجزء
السفلي؛ كي تفعل إحدى الخرز المميزة من أجلها،
وضعتهُ في خزانها ومن ثم وضعت ما نسجته من
خيوط لـ أسيف وأميمة؛ لترتدي ثيابها من أجل
فرحتهما، مرت أيامًا بدون رؤيتهم.

استقلت إحدى الحافلات؛ لتصل بعد نصف
ساعة، هدأت من روعها وهي تُفكر في عملها وفكرة

"منذر" التي أزعجتها بشدة، طرقتُ طرقةً خفيفةً..
لا صوت ولا شجار بالداخل، قررتُ الجلوسِ على
السُّلمِ بعد مهاتفتها لها، خمسُ دقائقٍ ليقفز
"أسيف" بأحضانها فرحًا برؤيتها، حملتُ "أميمة"
بين كتفيها مُقبلةً رأسها وما إن رأت فستانًا منقوشًا
بالأميراتِ هرولتُ بسعادةٍ، هدرتُ "أسوة" بليين:

-أعاقبها وتأتين لتغيري كل شيء.

-إنها تبلغ العامين يا زوجة أخي، فلمَ تزعجي روحك

يا حبيبتي؟!!

-لقد جُرحتُ قدمها إثر سُرعتها عبر الطريقِ وقد
ضربتُ إحدى الأطفال حينما أزعجها، معاقبتني لها
صغيرة، وفي وقتٍ ستعرفين أنني صوابٌ، كانت
مقولة أمي وصدقت.. والآن هاتِ مَا بجوفكِ.

تمهدتُ "نبأ" وهي تُفكر في طريقة:

-تعلمين أن صفحة العمل الخاصة بمشروعي قد
عُطلت، وما بين عملي بالصباح وعودتي بمنتصفِ
النهار أعجز عن القيام بالتكنولوجيا كما تعرفين،
رُبما لأنني أبغض الإنترنت قليلاً، المهم أن هذا الشاب

اقترح المساعدة، لكن ما أزعجني حقًا هو كلمة

الزواج تلك!

- مَا تِلْكَ المَزْحَةُ أَيُّهَا الفَتَاةُ؟! زَوْاجٍ مَنْ؟! وَأَيُّ شَابٍّ

هَذَا؟!!

ابتسمت بتألمٍ: قلبي متعبٌ يا "أسوة" ولا أودُّ هذا

الإقتراح أبدًا، إنه "سفيان" المتطلع للإناث، لا أدري

مساعدة تحمل الفتات لقلبي من جديدٍ، ولم أنا في

نوائبٍ دائمةً، جئتُ إليك؛ كي ترشديني، فأبي متعبٌ

وأمي كبرت مبكرًا كلما لاحت المشكلات أمامنا، لم

تسلم الأمور من "إباء" التي تفكر في تأخير عام في
دراستها!

صمتت تامُّ بعدما أسندت ظهرها بالمقعد، فكرت في
عقل "منذر" المشتت، نطقت بجديّة:

-مَن ترك الأمور لله فالخير في التآني، و افقي على
العملِ معه بشرطٍ أن يكون "منذر" مراقبًا
لأفعاله، كما أعلم ببراعة "سفيان" في العملِ من
حديث "بارق" عليه، ليس سيئًا حينما اهتم بوقتِ
الفراغ فأصبح معروفًا قليلاً يا نبض القلب، لا
تفكرين في أمور الزواج تلك و اتركي الأمر لله فقط،
العمل الحقيقي سيبرز الجوانب كلها أمامك.. أما
لقلبي حديثٌ آخر.. "سفيان" رجلٌ بالمعنى الحقيقي

قبل إندساس الثعابين بينه وبين الغير، وبطبع
الرجال لا يروا الإناث إلا وقد يغازلون بالتأكيد لكنها
فترةٌ وستمضي، وليس الرجال كلهم بل هناك من
يتعفف ولا يختلس النظرات لهن، خذي وقتك وأنا
بجوارك دائماً، ولا تعوض أحداً بأحدٍ آخر حتى لا
تسبح الفرصة لوجعٍ آخر!

سأهاتف "منذر"؛ كي يجلب "إباء" معه، اشتقتُ
لثرتها معي.

-لن يوافق هذه المرة، ستأتين معي، اشتقتُ لتناول
الطعام معاً برفقة أبيك، هل سترضين طلبي
الصغير؟

أشارت بالنفي؛ ليذهبوا سويًا، حمدتُ الله على
وصولهن مبكرًا قبل قدوم الليل، ومَا إن أتى الجميع
جلسوا بسعادةٍ وقد تناسوا الألم ولو قليلاً، أما
"نبأ" بعقلٍ بعيدٍ في هذه الفكرة، ترفض مشاركة
الغريب ما تُحب، لا تُريد إرتداء الشَّجِي من جديدٍ،
قررتُ السير وراء عقلها

في الإستعانة بخبراته المبتكرة ريثما تتمكن من تلك
المهارة، ما يعترها حقًا هو بُعدها عن التواصل
الإجتماعي بعدما كانت بارعةً به كثيرًا!

قضى شهرًا بتغييراتٍ طفيفةٍ على الجميع، لكن
القلوب تتغير كل يومٍ بلا وقتٍ مُحدد، وقد ينير الله

قلبك بإزالة العتمة الحزينة ليُبدلها بسعادةٍ

مُفرطةٍ.

الفصل السابع "وَتَزِينُ بَرُوحَ الْحُبِّ"

"مِنَ الْمُحِقِّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَصْبِحَ كَمَا يُرِيدُ هُوَ بِلَا نِفَاقٍ بِالنَّفْسِ الَّتِي تَتَغَيَّرُ كُلَّمَا أُرْدْنَا شَيْئًا، شَعُورٌ مِنَ الْبُؤْسِ حِينَ مَا تَدْعُو بِمَا تُحِبُّ فَلَا يَسْتَجِبُ الدُّعَاءُ، تُنَاجِي اللَّهَ بِمَا تُرِيدُ رَغْمَ الظُّرُوفِ وَصِعَابِ الْحَيَاةِ، قَدْ تُحَقِّقُ الْأَحْلَامَ عَلَى حِينِ غُرَّةٍ فَتَنْقَلِبُ حَيَاتِكَ لِمَ تُرِيدُ وَبِمَا تَعْشَقُ، حِينَ مَا سَتُحِبُّ كُلَّ شَيْءٍ رَفَضْتَهُ فِي سَبِيلِ الْأُمْنِيَّاتِ.

حَقًّا الْأُمْنِيَّاتُ كَثِيرَةٌ لِشَخْصٍ يَمْتَلِكُ شَغْفًا بِمَا يُرِيدُ
وَكَأَنَّهَا الْأُمَانِي الَّتِي نَرَسُمُهَا بِالْأَقْلَامِ لَا تَنْقَطِعُ بَلْ تَظَلُّ

بمكاني قد تنساه كلما زاد عُمرُك، إن أمسكتها بعد
شهرٍ ستبكِ على حالِك الذي وصلت إليه، كم من
شخصٍ أحببته ولم يبقَ معك؟! كم من ألمٍ رأيتُهُ
وأكملت؟!!

نحن نشبه الدواء المر إن تألمت قلوبنا، لا ندرلِمَ
نسيرُ وراء بشرٍ لا يحبونك من أجل الهروبِ، حينما
ننفرد بأنفسنا نشعر بوحشية العالم أمام أبصارنا،
ولا ننخدعُ مرةً واحدة بل بأرقامٍ لا نعلمها قط".

أسندتُ ظهرها بعدما انتهت من تدوين ما تحب،
أغمضتُ عينيها خلسةً بعدما تفرغ المكتب قليلاً

لكنها لم تتمتع في تلك الدقائق، شعرتُ"
إباء" برائحة الطعام أمامها، لتجد "هاجر" واثبةً
برفقة "تقى" تحملُ العديد من المعجنات المتنوعة،
نطقت بحب:

-هلم إلينا فالطعام المفضل لا ينتظر أشخاصًا أبدًا.

انضمت إليهن وهي تتناول ما يُحب قلبها بعيدًا عن
الضوضاء التي تعودت عليها في ذلك العمل، تناقشا
إثنتهما عن العملِ أما "إباء" بملكوتهِ آخر والأسئلة
تمربعلها، أهن كذلك في الحقيقة أم كاذبين؟!،
أخرجت النقود بخجلٍ؛ لتزعج "هاجر" إثر فعلتها:

-لمَ تفعلين هذا الشيء ونحن نحاول اكتسابك
إلينا، نحن طبيبات القلب واللهِ ولا نحمل سوءاً لأي
أحدٍ كان، كل شهرٍ يصرف لنا مكافئةً مهما كانت
ويشتري لنا

"منذر" هذه الأشياء لهٌ وللجميع؛ كي يرتاح قلوبهم
إثر العمل هذا، فلمَ ترفضين الإنضمام إلينا يا
حبيبتي، هل صدر منا شيئاً؟

-لم يصدر منكما أي شيئاً وربما أجهل معرفتي
بكما، اسمعاً.. أنا أدرس بمحافضةٍ أخرى وفي عامي
الأول تحدثتُ لِنفسي بأن أغير عيوبي مهما كانت وأن
أتأقلم مع الغير؛ كي لا أنصتُ للغير، مر نصف عامٍ

وكنْتُ بخيرًا وفي أفضل حال، مع العلم أنني من
اقتُرحتُ على أخي الذهاب لمكانٍ غير مألوفٍ به الكثير
من البشر؛ من أجل التَّعلم والبحث، إلى أن جاءت
فتاة ظننتُ بها الخير والحب كما أحب رفقائي، لكنها
أخذت مني ما أحب، وتبدلت المشاعر فأصبحتُ
كمن يحمل حملاً ثقيلاً، لا الدارداري ولا المكان
يسعني، أحياناً ما نحيم كثيراً لا يحملون لنا إلا
القلة مهما فعلنا، يبدلوننا بأناسٍ غيرنا، ولا يهتموا
بنا حتى في الجلوس، لا أستطع تسليم فؤادي
مجدداً لبشرٍ تأملتُ منهم، لهذا لا أستطع الوثوق
بكما، كما عقلي يجهل هذا المكان..!

-أكملي ما بجوفك ومَنْ ثم سنجيبُ عليكِ.

تهدّت "إباء" بقلقي:

-كيف تجلسون هكذا بثقةٍ ولا تناولوا أي عقوبةٍ؟!

وما هذا المكتب المتكون من غرف للصلاة، كتبٌ،

مَنْ المقترح لهذه الفكرة؟ وهل يمكن أن تتحدثا

عنكما؟

لمعتُ عين "تقى" التي فهمت شخصيتها كلياً رغم

صغر الأيام، أردفتُ وهي تتراجع؛ كي تستندَ بالحائطِ

ناطقةً:

-أعتذرُ لكِ عن ما فعلهُ البشرُ لكنك لستِ مخطئةً،

يمكن قد تغيرتِ وتملكِ الفضول منك في اكتساب

شخصياتٍ غريبةٍ مهما كانت، القلوب التي أعطتْ
بتكاثرت لا تأخذ شيئًا، ربما نقسو على أنفسنا وقلوبنا
إن سَلَمنا الصدق لقلبٍ ينتهزك لهذا لا عيب في
التَّعلم، أيضًا لكِ الحق في عدم الوثوق بنا فكيف
لشهرٍ واحدٍ أن تحبينا ونحتل جزءًا من قلبك،
سامحي.. سامحي يا إباء فإن القلوب الطيبة تصافح
الأشياء بمرونةٍ.. نجلس بثقةٍ؛ لأننا متدربون لا
نأخذ، نقودًا كثيرة إلا أن نثبت أنفسنا بعملٍ أقوى،
وقد سَنح شقيقك لنا بالمغادرة ما إن تَأتِ فرصةً
مناسبة، ولا نعاقب البتة لأنه يرانا كشقيقاته لا
يحبذ الصراخ أمام الغير إلا في حالات الإهمال،
ونحن نفعلمها دائمًا.

أكملت "هاجر" ببسمة: فكرة عُرفة الصلاة فكرتي
وقد سمح لنا بهذا الشيء، إنها للذة تضيء قلوبنا
أينما كنا قد نهملها فيضطرب الفؤاد حزنًا وشقاءً،
ربما نخطيء ونسيء الظن في مواقف ما، بالنهاية هو
وقتٌ قصيرٌ لن يؤثر إن توجهنا لعبادة الله في اليوم،
وبها لا نجعل دخولًا للشيطان مهما حدث لهذا قد
يكرمنا الله بما نحب، أما الكتب فليست فكرتنا أبدًا
بل بيومٍ أتى "بارق" وهويزيل الزجاج ووضع
بالجانب الأيسر رفًا ممتلئًا بالكتب المتعددة ولا
أخفي عنك سرًا ظننته راسبًا لكنه بارعٌ للغاية في
أمورٍ شتى رغم وفاة أبيه.

أما عني فأنا متزوجة من شابٍ أكبر مني بعامين،
عقد قراني بالعطلة عليه ومن ثم غادر من أجل
إنهاء عمله، لا أحبه لكن أفعاله تُجبرني على إحترامه
كليًا، يعرف أنني أبغض التحدث معه ويحترم رغبتني
لوقتٍ ما، صار جزءًا من يومي وهو يهاتفني كلما
عدتُ، بالفرقة الرابعة وسأغادر عملي وأتفرغ لمنزلي
الذي أتكاسل في ترتيبه، ما يُهم أنني حفظتُ قلبي
دون أمرٍ وحبٍ، ليس لدي شقيقاتٍ.. لكن أخي
الأصغر يُشكل يومي وأحاول الحفاظ عليه من
رفقاء السوء، صار محبًا لـ "محمد" وكأنه أخوه ليس
زوج أخته!

-أما أنا أمكث مع جدتي الحبيبة بعدما تزوجت أُمِّي
بعدها انفصلتُ، لم تهتم بيّ ولا أعرف شعور الحنو
هذا، فضلتُ نفسها عليّ، وأهملني أبي كُلياً، لا تنظراً
إليّ هكذا، مَنْ شدت بيدي هي جدتي التي راعت
عقلي ودربي رغم عُمرها، أحياناً أتساءل هل
سأصبح وحيداً في هذا العالم بدونها؟! هل ستغادر
الطيور الحبيبة درع موطنها؟، ترعرعتُ حتى بلغتُ
الثامن عشر، ومن ثم عكفتُ عن الدراسة لعامين
بعدها عملتُ في إحدى المصانع من أجل المال،
وعدتُ لدراستي في هذا العمل، وفي إحدى المصانع؛
كي أستطع جلب ما أريد، أغلقتُ قلبي وأخذتُ وعداً
أن الإستقلال هو طريقي.. وأنتِ؟

أجمها الصمتُ وهى ترى ثباتها بلاقطرة دمٍ
واحدةٍ، أردفتُ بقلبي: أحب الرسم، الكتابة،
القراءة، لكنني تراجعْتُ عنهم وانتهزتُ دراستي
برفقة أخي، فقد اهتم أخي بي، لدي شقيقةٌ تقترب
من الرابعة والعشرين، لكن أفقد هويتي الحقيقة.

-لِمَ لا تعودِ لأحلامك، اسمعِ لن تقرري ونحن من
سنقرر لك، ستعودين لممارسة ما تحبين بعد هذا
العام، سمعتُ أنك ترفضين الذهاب لأي مكان،
وبهذا سأصبح صديقةً لك..

-أو افق.. وسررتُ بهذا، أن أتحدث مع أنثى قوية
ستعلمني القوة.

لاحتُ بسمة "تقى" وهي تقف، ارتدت "إباء" حذاءها
بعدها هدر "بارق" بإزعاج؛ كي تجلب الأوراق التي
سلمها لها، شعرتُ بفضولٍ يسري بأوصالها ما إن
ينطق هذا بـ "حضرتك"، هداً قلبها بعد صراعٍ مع
الألم التفكيرى، لتغادر.

أما هو فقد شعر بتأنيبِ الضمير حينما سمع حديثها
الأخير، شفقةً أم عقلها المُشئت، لم ينسَ حديث
"منذر" وهو يحدثه بالقسوة عليها بأوقاتٍ متفرقة؛

كي تصبح قويةً أمام الإختباراتِ مهما كانت، كذب
القلب إن رفض الحب، فالصباغة الحقيقة هودماءٌ
عشقتُ بعدما رفضتُ كَمَنْ يُخبرك بزواجٍ وأنتَ
تعلمُ أنه يبغضُ تلكَ السيرة.

أتى الليل والأطفال يصعدون ضجيجًا عاليًا،
شاهدتهم "سفيان" وهو يسمع همهمات البشر، كان
جالسًا يتابع عمله؛ ليرى والدته قادمةً بأكوابِ
الشاي، وضع الطاولة ومن ثم جلب مقعدًا؛ كي
تجلس معه.. انضم إليهم "بارق" بعيونٍ مرهقة،
تأنف الشارع من متجرين أحدهما يبيع الخضروات

والفاكهة والأخر مكتبة دراسية، نطق "سفيان"

بجدية:

-انطفأت الأنوار كلما رحل إحدى الكبار، صار المكان

ثقيلاً عليّ وكأنني أودُّ تغييره بمفردي.

-يا بني، مع كل بيت يغادر المكان الذي نشأت به تتغير

الطرق، تأتي الأيام المباركة بمكانٍ به الفرحة والأخر

يكسوه الغم والإحباط، أن تفكر في أيام جمعتك مع

أبيك هذا يؤلمك، أن تصلح من نفسك بعد فوات

وقتٍ يجعل نفوس البعض سيئة.

هربتُ دمعاً من بارق؛ ليفكر في حلٍ، لقد قطع
عامين عن إنارة الشوارع بالزينة، وضع كتفيه على
أخيه:

-أستطيع إضاءة هذا الشارع من جديد يا أخي،
وسأحدثُ مع إمام المسجد؛ كي تتحول هذه العتمة
لإنارة، أما عنك يُمكن لمن تحبها أن تفعل زينةً بسعرٍ
جيدٍ وتعرضها على صفحة التواصل، أعلم أنك تُلح
وترفض الحديث في هذه النقطة، فلمَ لا تجلس مع
أبيها.

-بارق..إنها لم تأخذ مالها حتى، و"منذر" يهرب من

تسليم نقودها حتى!

-اسمع يا شقيقي، هذا عملها ولا شأن لأخيها

بعملها، أما عني ففكر بنصحتي وستفوز بها، فمَنْ

يحب سيتحمل نتيجة إختيارته.. بالمناسبة يبتهج

قلبي حينما أراك هكذا، فاثبت يا أخي فأنت قدوة

لي.

لمعتُ عيون أمهم وهي تتمنى لهم ما يُريدوا،

تبدل "سفيان" وأصبح رفيقًا له،

كم يبهت حينما ينقطع بارق عن الحديث؟!

كم من تضحية قدمها له وهو واقفٌ يحاول بث

الأمان له؟!!

الفصل الثامن "معركةٌ داخليةٌ"

"أَنْ تُوْمَنَ بِقَرَارَتِكَ الصَّحِيحَةَ قَدْ يَجْعَلُكَ جَيِّدًا فِي
أَوْقَاتٍ مَا، وَفِي لَيَالٍ قَدْ يَنْلِ الْوَجْعَ مِنْكَ فَتَنَمُ حَزِينًا
وَتَتَغَيَّرُ فِي لَيْلَةٍ وَضَحَاهَا"

أَحْسَ "سَفِيَانٌ" بَعْدَ رَاحَةٍ كَلِمَا لَاحَ "عَبْدَ اللَّهِ"
أَمَامَهُ، كَمَا يَكْرَهُ ذَلِكَ الْبَعْدَ الَّذِي يَضَعُ نَفْسَهُ بِهِ،
هَاتِفُهُ عِدَّةَ مَرَاتٍ بِلَا إِجَابَةٍ، تَطْلُعُ لِأَخِيهِ النَّائِمِ عَلَى
الْفِرَاشِ بِشَكٍّ؛ لَيْسَ يَرَى صَوْتَهُ وَهُوَ يَرَاهُ مُنِيرًا
الِهَاتِفِ هَرَبًا مِنَ التَّفْكِيرِ، تَحْدُثُ بِجَدِيَّةٍ:

-قلبي مقبوضٌ يا بارق، سأذهب لابن عمك.. أخبر

أمي إن استيقظتُ فضلاً.

-لن أتركك وحدك، سأرتدي ثيابي مسرعاً، تفائل

بالخير.

سارعا من خطواتهما؛ وفي ساعةٍ وصلا إليه، قاربت

الشمس على البزوغ، واقتربت صلاة الفجر، طرق

مراتٌ بلا فائدة، لم يخبره بسفرٍ أو عملٍ قريبٍ،

الضوء بالداخل وكأنه مستيقظٌ، أخرج المفتاح وهو

يدخله بقوةٍ ليسقط الآخر بالداخل، دخل "بارق"

وهو يختنق للمطبخ ليراه ساقطاً بلا نفسٍ، هدر بقوةٍ

ليغلق الغاز، أتت سيارة الإسعاف في دقائق،
انقبض "بارق" على شكله وعينيه الباهتة، تطلع
لأخيه وهو يشعر بشيءٍ خفي.

ولج لغرفة الطوارئ بلا جدوى، ومع كل دقيقةٍ
عليهم يتذكروا كل ألم فعلته العائلة بهم، برع "عبد
الله" في البرمجة منذ عامه الأول، استند على أبيه
وحاول التّعلم منه حتى تغير بمجرد إندساس
شقيقة أبيه بعقله ولم تسلم والدته منها، تغيرت
اتجاهتهم واتفقا على أخذ ميراث أبناء عمه، كان
ينصت لكل حرفٍ به الأذى للغير حاول التّحدث
ورجوعهم عن قسوتهم الزائدة؛ ليتلقى الصّفة

التي شقت قلبه لنصفين، منع نفسه من نقودهم،
اجتهد ومع المال القليل جلب له شقةً إيجار، كان
يُضاعف عمله حتى أصبح قادرًا على الوقوف.

خرج الطبيب باسمًا لهما: هو بخير الآن لكنه أهمل
صحته للغاية، يمكنه الخروج بعد ساعتين.

-صحة مَنْ، هو يهتم بنفسه للغاية.. هل حدث
شيئًا؟!

بالطبع، لقد أهمل غذائه، وفقد توزانه حتى أن
إفاقته صعبة، يبدو أنه بحالة نفسية سيئة..
سأغادر الآن.

انصرف الطبيب وعلامات التساؤل تحتل عقلُ

"بارق"؛ ليردف بحدة: كيف علمتُ هذا؟!!

-لقد اختفيتُ عندهُ واستقبلني بترحابٍ شديدٍ،

ظننتُ أنه يتناول الطعام ويهتم بصحته، شعرتُ

بحديثه الحاد قرابة اليومين؛ لكونه يعمل معي في

الشركة، أدركتُ الآن أنه يدمر نفسه كل يومٍ على

أفعالٍ لا يد لهُ بها.

ولج إياهما للغرفة؛ ليتألم "بارق" حينما رآه هكذا،

هل كان سيفقد من أحبه وأحب التّكلم معه، أه من

الوحدة والامها، فتح عينيه؛ ليجد يديه معلقةً

بإحدى المحاليلِ وأثار الدماء لازالتُ بيديه، رمقه
"سفيان" بغضبٍ متمًا بجديّة: سأذهب؛ كي أحضر
ما يخصه لمنزلنا، لا تتركه يا أخي، أعلم أنّك تكره ما
يوجعك ولا تنسَ أنه رفيقك!

رَزاَ بهذا الحديث متذكراً ذكرياتهما معاً، تركهما
ليجده صامتاً غير قادراً على الحديث، جلب له
عصيراً وله قهوة، وضع الوسادة بظهره:-

-احتسي هذا العصير، أعلم أنك تُحب التفاح، ولا
تشتمُ رائحة القهوة حتى لا تتأذى.

-أودُّ الخروجَ مِنْ هذهِ الغرفةِ، أختنقُ كُلِّما أَجلسُ
بِهَذَا الفراشِ.

أحسَّ بِانزعاجٍ حينما تحدثَ بِنبيرةٍ مِنَ الألمِ، وضعَ
يديهِ حَوْلَ رقبتهِ؛ ليسيرُ بِقدمينِ مَثقولتينِ، جذبَ
المقعدَ الأماميَ ليجلسَ بِأرقٍ، وَمِنْ ثَمَّ سلكَ
طريقهما، لأولِ مرةٍ يصمتُ وهو يراهُ غاضبًا، سكتَ
حتى لا يتشاجرا، تميزتْ علاقتهما بِالإثارةِ والغضبِ؛
فكانتِ القوةُ هِيَ الأمانَ لَهُم حتى غيرهمِ الزمنِ،
اختلفتْ طباعهمِ كَثِيرًا؛ ف"بارق" قاسيًا فِي عملهِ وَمَنْ
أغضبهُ، أما "عبدُ الله" هادئًا راسيًا حتى تلوَّنتْ
البشرُ أمامه، صدقَ مَنْ قالَ القريبُ يُوذِي والغريبُ

يشعر بالرأفة والحنو؛ فصدق المشاعر لا يشتري
بثمن، بل هي بالدماء الحنونة.

على الجانب الآخر.. نهض "أسيف" بقلبٍ باكيًا
متجهًا لغرفة والده، وثب لحين إنهائه للصلاة ومن
ثم توجه إليه قائلاً:

-لم تهملني أنا وشقيقتي، لم تبك أمي..!

ثلاث كلمات صُدم بها "منذر"، لم يبلغ بعد ويتحدث
هكذا، تراجع الصغير للخلف وهو يرى نظرات أبوه،
صدق "أسيف" في الحديث، حاول "منذر" الهدوء؛

كي لا يخوفه؛ ليقترّب منه.. ضمه بشدة وكأنه يبعث
الأمان له، تطلع لأسوة الغاضبة من جراءة ابنها؛
ليشير بالخروج مؤقتًا، حاول جمع الكلمات لينطق
بحب:

-تحدث كما تريد ولن أغضب منك، اتفقنا؟!

-أنا أشعر بإهمالك ليّ بعدما تفرغتُ لعملك، لا أرى
إلا أمي وأميمة، لا أراك تأتي كي نعود سويًا، لم تأتِ
كي تلهومعي، دائمًا تتخفى عني، حتى صديقي أصبح
مهملاً ليّ، هل تبغضنا يا أبي؟!

-كيف أبغضك و أنتَ أولَ أبنائي يا صغيري؟!-

أنا أحبك أكثر من أي شيء أنتَ وشقيقتك، أنتما
أمانى، وأعتذر لك عن خطأي يا حبيبي،
و"بارق" يُحبك كثيرًا لا يكرهك بل يودُّ رؤيتك في كل
مكانٍ، أين تُريدُ الذهاب؟!-

شعر "أسيف" بالإطمئنان وهو يحدثه:

-أودُّ الذهابَ لمتجرِ الألعاب، لقد كُسرت "أميمة"
لعبة التصوير الخاصة بي، وقد بكتُ أمامي خشيةً
منك، لكن "أمي" عاقبتها عقابًا صغيرًا حتى أنّ

عمتي هدأتها، أنا أحبك يا أبي، لا أقصد حديثي، أنا
أخشى "أمي" إن سمعت حديثنا.

ابتسم "منذر" بحبٍ: لن يحدث شيئاً، بدل ثيابك
وسأخذك في الحال، وأنا أحب صراحتك، دمت لي
يا صغيري.

فرّ مسرعاً؛ ليفكر "منذر" في طريقته معهم، أحقاً
عُمي إثر المشكلات؟! أحس بالألم من الحديث، الآن
أدرك معنى الأبوة الحقيقية، أتت "أسوة" وهى
متطلعةٌ لهُ بقلقٍ، لا يستطع النطق؛ فهي من تتحمل
عواقب الدنيا بالمنزل، لا يسأل بها حتى أهمل

نفسه، يترك المال في زمامها ويأتي، يتناول الطعام بصمتٍ، يفعل كل شيءٍ وكأنها ليست أمامه، رأى دموعها محاولةً النطق؛ لكنها عاجزةٌ، تألمت حقًا حينما شكا "أسيف" دون اللجوء إليها، تتم بلين:

-لا تبكين هولم يقصد، مجرد خوفٌ منك، أعلم أنك تحملين الكثير على عاتقك ولن يفهما أي شيء الآن، تغيري من أجلهم ولا تخشي شيئًا، هما يحبونك وإن قسوت فبطبعك حنونة، ربما تألمت مني لكن للحديث بقية، أنا أحبك ولا أرى إلا إليك.

-هل أنا سيئةٌ بعينيك؟!!

-لا، أنتِ أسوتي ورفيقتي في المحن، أتحنزين لتلك
الكلماتِ من ابنك، على رسلكِ سيكبروينضج، حينها
سنقابل العواقب بقسوةٍ حينما تلفتُ الأمور منك،
لا تبتعدِ عن أولادك هم روحك، سأذهب إليهم
وسأخذهم، أنتن النساءُ تبكون على أي شيءٍ، كان
اللهُ في عوني.

ضحكتُ إثر جملتهُ الأخيرة، قبل جبينها وهو يغادر،
أهى من تهون عليه أم هو، الآن أدركت أن إهمالها في
تباعد علاقتهم، تخشى كل شيءٍ حتى نفسها، قررت
إعداد الطعام المفضل لهم لحين عودتهم محاولةً
التوقف عن التفكير.. يصعب التحدث كلما لاحت

المواقف أمامنا، والأمومة صعبة كلما كبر الطفل
عامًا.

انتَهزت "صفية" نوم "سفيان" و"عبد الله"؛ لتعد
لهم مائدة من البازلاء والأرز؛ ليساعدها "بارق"
بعدما عجز عن النوم، وضع الطعام ومن ثم
أفاقهما من غفلتهم، بالبداية رفض الأخير الإفاقة؛
ليضع الطعام أمامه، تناولًا معًا، اغتسل كلاهم
ومن ثم أعد "سفيان" مشروب "السحلب بالحليب"
لهم.

-أعتذر لك يا غالية، سأغادر بالغد إن شاء الله.

-اصمت ولا تتحدث بتلك الأشياء مجددًا، لا دخل لك في أمورٍ كنتُ ضحيةً بها، أنتَ ابني الثالث، وكنتُ العزيز على قلبي وقلب عمك، أهملت روحك وفضلت الوحدة، لا تقول بأنك ثقيلٌ، المال مال الله، والطعام يزيد بفضل الله، تألم قلبي حقًا حينما جئتُ بهيئتِكَ تلك أمامي.

-تحملتُ ما يؤذيني، تحملتُ الكثير والله، كنتُ أشعر بالموتِ حينما وقعتُ فجأةً، أخشى الوحدة، لا أحب فعل شيئًا فقد أخذ أبي مني ما أتمنى.

ارتدى بأحضانها وقلبيها يعتصر حزناً عليه، بكى
"بارق" كلمًا نطق بكسرة، الانكسار بشع إن أتى من
الأهل، مضت الليلة بصعوبة، الدموع تتكاثر إن
فقدنا من نحيم، نتألم بلا شكوى وقد ينفر منا
البعض، ما يحرق حقًا هو عدم إختيارنا لِم نعشق،
لا نختار أسمائنا، عائلتنا، أصدقائنا، بل بكل فترة
يضيء قلبك كبوابة الزمن إن دخلتها لن تخرج خالي
العقل، ستصير مشوشًا و اقفًا كالآلة القديمة.

-أود الصراخ لكن قلبي يتألم مئة جرح حينما
رحلت، لا أستطع سوى الصمت فقط، أخشى
الفقدان من جديد، أنا سامحت الجميع لكن جرحي

عَالِقًا، اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنِّي كُلَّ أَلَمٍ آتٍ، وَارْحَمْ قَلْبِي
مِنَ الْخَوْفِ، وَاحْمِي أُمِّي، وَشَقِيقًا قَلْبِي، وَسَدِّدْ دَرْبِي
لِمَ فِيهِ مِنْ صَوَابٍ.

هكذا نطق "بارق" حينما غفل الجميع، أخذ يدعو
كثيرًا إلى أن غفل بقلبٍ فاضٍ من الدمع.

الفصل التاسع "معرفة الأنبياء كنوز"

"لا تيأس من أي شيء كان فالجميع يتحملون
أشياء لا يد لهم بها، عليك أن تحمد الله في السراء
والضراء، أن تملك شقةً تأويك من الأتربة، دواءً
تأخذه وقادر على التنفس أينما كنت، مهما كانت
ذنوبك فالله يغفر لمن شاء، ويراك ويرى قلبك
النقي"

أشرقت الشمس بنورٍ كثيفٍ بوجهه "نبأ"، أفاقت
متأخرةً بعدما استقلت من عملها بالمدرسة، فضلت
هو أيتها واستودعت الله لكل خيرٍ، شعرت بضيقٍ

كلما رأت الأتربة وغُرفتها العشوائية؛ لتقرر تبديل
غرفتها وإزالة الغبار من كل مكان، ساعدتها "
ميمونة" في تغيير البيت وإزالة الستائر كلما اقترب
شهر رمضان المبارك، أسرعاً؛ كي لا ينزعج أباهما في
هذه الضوضاء، وما إن انتهت.. توجهت والدتها
لغفلة قصيرة عكس "نبا" التي أخرجت الملابس
المُتسخة من أجل غسلها.

عاد والدها بعدما أغلق المحل الخاص به.. إن شعر
بالضيق نزل ورأى حفنة من البشر، يستنشق
الهواء وتتغير حالته إن تذكر أصدقائه، أصبح
متذكراً لكل شيئاً لا يقاوم التغيير، يودُّ كل ما هو

قديم، هو مَنْ أفنى عمره في سبيلِ رضاء الغير ولم
يذق حلاوة الجبر، أفاق من شروده وهو يفتح
لـ"إباء" .. رفع إحدى حاجبيه حينما رآها جالسةً على
السلالم مستندةً على الحائط، نطق بشك:

-لم نؤخذ منك إلا النوم في المواصل وإرهاقك في
الليل إلى أن يأت الصباح، ادخل لتغيري ثيابك تلك.

-هل هناك طعام جيد أم أذهب لأخي؟!

جذبها للداخل وهي تضحك على هيئة والدها
الحبيب، ارتدت ملابسها ومن ثم ارتدت إسدالها

بعدهما توضحأت، خرجت الأخرى من الشرفة وهى
تمتم بتعب، احتضنت وسادتها بعدما أوصدت
غُرفتها؛ كي لا تزعجها "إباء".

انتهت من وردها وصلاتها مهرولةً للطارق، فتحت
بإستفهام وهى تتطلع لشابٍ نحيفٍ بعض الشيء،
يحمل حقيبةً ظهرية، هدرت بسؤالٍ:

-أأنت شقيقُ "بارق"؟!!

نعم إنه أنا المتعجرف، أدعى "سفيان" وأودُّ
التَّحدُّث مع أبيك، عذرًا لتلك الزيارة، أعلم أنك
شقيقةٌ "نبأ" هل يمكنك أخذ مالها مني..؟

-تفضل أولاً ومن ثم سأخذها منك.

أحضرتُ أكواب الشاي وهي تمتم بسخِطٍ، تشعر
بالجوع ولم تهناً به بعد، جلستُ بجوار أبيها بفضولٍ:

-اعتذر إن جئتُ بلا موعدٍ، لكنني أودتُ التحدث مع
حضرتك، أنا أحب "نبأ" وقد أخبرتُ "منذر" بهذا
وأعلمُ أنه أخبرك يا عم، لقد تبدل حالي وصيرتُ
أخشى الله لكنها ترفضني منذ ما فعلتهُ.

تهد وهو يرمق "إباء" التي تلون وجهها بالغضبِ،
أردف "حسن" بهدوءٍ: أنتَ تتشبث بها وهي ترفض

الجنس الآخر، أدرك أنّك صادقٌ في الحديث، أعلم
قلبك جيدًا وعقلك الراشد، ابنتي مرّت بتجربةٍ
قاسية، وهي تعاقب نفسها، حتى عادت للحياة من
جديدٍ، ولم تراك جيدًا، فهل ستعافرن من أجل أنثى
حطمت؟! بالإضافة إلى أنها ابنتي ولن أسلمها لمن
يبكيها مهما فعلت!

شعر "سفيان" بالفخر من حديث والدها رغم
معاقبته له ولها، نطق بجديّة: سأعافرن من أجلها
مهما فعلت بيّ، لا أودُّ إلا مساعدة واحدة وأن
أتعامل في نطاق الحدود، حتى صفحتها العملية لا
تأخذ نقودها مني ولا تتطلبها أبدًا، حضرتك صديق

أبي الوحيد رغم قلة حديثكم، ولم أكن إلا الإحترام
لك، ولا أعلم مدخلها والتحدث معها.

-عذراً.. كيف لا تأخذ نقودها منك؟! كيف تفعل
الطلبات؟!!

-أخبر منذ ربما يريدُ الناس وهي تفعل.

شرزتُ بعينها لغرفتها، أتعددُ أمورها العملية حتى،
وضعتُ يديها أسفل خديها تحاول إيجاد مخرجًا،
لكنها عطلتُ، تحدث والدها:

-بانتظاركَ يوم الجمعة برفقة أخيك، وسأحاول معها، ولا ترهق والدتك معك أعلم أنها متعبةٌ قليلٌ، كان أبوك طبيبًا لينًا لا يبغض أحدًا ولا يكره مساعدة الآخرين، لهذا سأجبرها عليك.. لا سبيل إلا هذا الشيء.

-الحمد لله على كل شيءٍ، ادع ليّ بشفاء قلبي، لعلمي أهدأ في تلك الأيام.

غادرو قلبه سعيدٌ، يتمنى أن توافق، يفهم ماذا حدث معها إن سمع منها هي، لا يعلم لم هي لكنه يتشبث بحدتها وصرامتها، أحيا ولم ير إلا إياها وكان

العينين تحمل الكثير في رؤيتها، يتحول الرجل من
جاهلٍ للحبِّ إلا مغرماً إن ذاق مشاعراً صادقةً،
أخفاهما أخاهم عن الجميع وغار عليهن.. فكيف له
ألا يحب مَنْ اختارها قلبه؟!!

على الناحية الأخرى.. وثبتت بصدمةٍ حينما غادر،
سمعتُ كل حرفٍ قيل، لقد تناستُ أمره لِيأتي
لوالدها، خرجتُ أمام أبيها؛ ليشير لها بالجلوس:

-أنتِ سمعتِ الحديث لهذا اسمع.. أنتِ لستِ
صغيرةً لقد قاربتِ على الرابعة والعشرين، وفي مثل
عمرِكَ تفرح الفتيات بزواجهما، ثم لم تستندِ

بشقيقك دائماً، إنه أبٌ وله الإهتمام بأولاده قليلاً،
هل نسيت هذا؟! هل "أسوة" تشتك؟!.. لا يا "نبأ"
إنها تساعدك وتهمل روحها، لم تتساءل أحدكن
عنها وحالتها، أن تختاري نصفك الثاني بعلم أحسن
من الحدة، حاولي من أجل نفسك وستعلمين حقاً
أن "سفيان" سيتعافى بكِ وأنت كذلك.

-أودُّ حلوى منك يا "أبي".. كعكة بالشوكولاتة لي،
وبسكويتُ برائحة القانيليا.

-دائماً تقطعين لحظات الجديدة، أمامي إلى المطبخ
سأفعل لك ما تحبين، ولنا الله إن لمحتنا أمك.

هرولت بسعادةٍ خلفه؛ لتنضم إليهم "نبأ" وهي تفكر
في حديث والدها، إنه صادقٌ وقد أحست بالحدة
مع "سفيان"، اتكأت على أخيها دون الشعور به،
قررت الإنسحاب لحجرتها.. عادت بالزمن وهي ترى
ضحكات

"منذر" وحبه للجميع، لا يكذب ولا ينافق مهما
حدث له، دائماً يهتم بالغير حتى في الحزن، أمسكت
مصحفها؛ كي تهدأ خوفها من مستقبلٍ تهرب منه،
الغريب في الأمر أنها لم تبكٍ وغضبها زال بمجرد
اللجوء لله، قد يعطينا الله فرصاً كثيرةً لا نراها إلا
بتوقيتٍ مختلفٍ، ربما ما نختاره هو الشيء الطالح
وما يقدره الله لنا يبهج القلوب، ويغيرنا لم نحب دون
أن ندر، كل شيءٍ تُريدهُ سيتحقق كمن يُريد زهرةً

فتأتِ أمامه في الحال، كالرفيق الذي يشعر بما
يحتاجه الصديق فيجلبُ له ما يُريد مهما كان
الثمن، المهم هو الفرحة.

رجع "سفيان" وهو يخبر والدته بما حدث؛ لينشرح
صدرها، ولج ليجد "عبدالله" ممسكًا بالحاسوب
يتابع الأخبار و"بارق" مندمجًا مع الأوراق بعدما
اقنعه بالتشبت بفرصة العمل، جلس بجوارهما
بملي؛ ليمس بأذنيه: فعلتُ ما قلتُ وستذهب معي
بعد الغد.

حملق بعينيه وهو يبتسم؛ ليقفز عليه بفرحةٍ، هدر

"عبدالله" بحبٍ:

-هل سترتدي ثيابًا جديدة؟!-

-لا، إنني أشعر بالحدة في الحديث معها، وقد

غضبتُ شقيقتها لولا وجود والدها لانقضتُ عليّ يا

أخي، كيف تعمل معك تلك؟!-

-الأشقاء خطُّ أحمرٍّ لا يمكن تعدي حدودك وإلا

أصبحتُ فريسةً، سأتركك من أجل إكمال الشقة،

سأخذُ "عبدالله" ريثما ترتاح قليلاً يا سفيان، وأخيراً

ستصبح عريسًا، ليتنا نتجرع ذلك الشعور.

لاحتُ بسمتهم وهو يسحبُ الآخر لأعلى، أدار المفتاح
ليجد شقةً لا تحتوي على مقتنياتٍ، الطلاء جديدٌ
والألوان مبهجةٌ للغاية، فضل "عبدالله" الصمتُ
فالعلاقة متوترةٌ ولا يودُّ النقاش معه، الغضبُ
جامحٌ ويشعل النيران دائماً، التفت يساراً متطلعاً
للصور بصاعقةٍ حقيقيةٍ حينما جمع "بارق"
شجارهم وصورهم في غرفةٍ، أمسك بصورةٍ عمه
بشوقٍ.. يودُّ لو يأخذها، يشعر بالإحراج والأسف
على كل شيءٍ، نطق "بارق" بإستفهام:

-هل تشتاق إليه لهذه الدرجة؟!-

-أكثر من نفسي، يعرف ما تجهله أنت حينما تغيرنا،
جرح عميقٌ بداخلي يا أخي.. اشتقتُ حقًا لقولها
لك، لم أشعر بأنك ابن عمي أبدًا، أنا أحترق وأودُّ
أخذ حق والدك بأي طريقة، لا أستطع الغفران من
أبي حينما نزل عمي بحزنٍ، تلك الليلة التي تغيرت
علينا، ليت أباك يُدرك ما نمربه، يرسل إلينا
إشارات من اليقين الزائد، حتى عمتنا تودُّ
اعتصارنا بلارحمة، أكره الأنانية وأخشى أن أصبح
مثلهم في يومٍ ما.

-و أنا أشفى بك، لم يتغير حبي لك أبدًا طوال الأيام
الماضية، دعوتُ لك بالخير وحينما رأيتك على

فراش الموت شعرتُ بروح تنسحب، قُل ما تحب ولا
تترك الماضي يعانق المستقبل، ادعِ بالسلام لنا حتى
نغلق أبواب الألم، إن كنتُ تخشى نفسك.. أنا
أخاف ألعابهم الحقيقية حينما نسعد ولو قليلاً، ما
رأيك بالتسكع قليلاً؟!

و افق "عبدالله"؛ ليقرر الذهاب معه إن تحسن،
ساعدهُ في إعداد بعض الأشياء ومن ثم نزل؛ ليذهبا
في ثباتٍ، يومان من الأرق والاعترافات، لا مفر من
مواجهة مخاوفك.. فالهواجس مميتة في كل
الأوقات.

"الأمان يُكمن في الحب"

"لا تُفكر كثيراً في يومك، دع الأمور تأتي لك وكأنها
طبقٌ مُزينٌ بالذهبِ الخالصِ خاليًا من الشوائب،
والشوائب هو همهمات البشر المزيّفة"

أفاقت "تقى" سريعاً بعدما نظرتُ للساعة، عاتبته
نفسها على النوم المتأخر في الفترة الأخيرة لتخرج
وهي تنادي بجدها، رأتها تمكث بفراشها تسبح الله
وتتلو آيات الله بخشوع، تركتها متجهةً للمرحاضِ
ومن ثمّ جلستُ؛ كي تدون ما أخذته بالأمس،
أغمضتُ عينيها والمشاهد تتكاثر أمامها من حديث

أبيها حينما أفلتت زمام أمورها بلا رجعةٍ حتى جعلت
طريقه، والدتها التي وضعتها قبل أن تصبح شابةً
تراها، لم تكن ضحيةً منفردةً بل هناك أباؤه يهربون
من المسئولية، ينجبون وكأن الرضع آله لا يحتاجوا
لثيابٍ وموطنٍ من الحنولا القسوة في المشاعر،
انتهت لصوتِ هاتفها؛ لترد بترددٍ:

-السلام عليك يا "إباء".

-وعليك السلام يا غالية، علمتُ أنّك لم تأتِ حينما
رأيتُ وجهك المرهق بالأمس لهذا أردتُ الإطمئنان
عليك وأخبرك بأنني سأغادر اليوم؛ كي أجلب بعض

الكتب من الجامعة، تعودين عليّ في أمر المهاتفة
تلك.

تحدثنا قليلاً ثم ولجتُ جدتها وهي تحمل الشاي
المفضل لها، قبلت جبينها ناطقةً: هل تهريين من
أحدهم؟

-أودُّ الجلوس معك يا غالية.. أحدهم من.. أنا حادةٌ
يا جدتي، وهل يمكن التحدث دون علمك؟!، أرى
بعض الكلمات بعينيك.

-حفيدتي جميلةٌ حتى وإن خبأتِ شيئاً، أتعلمين
الحليب حينما يضاف بالنصف الثاني من الكوب
يشبه عمر الإنسان حينما يزداد، أنتِ لم تعلمين
الدنيا بعد ولن تفهمين حالكِ مهما مربك، مقاطع
التلفاز التي تشاهدها والدماء التي تذرف في أوقاتِ
متعددة تشعركِ بالخجلِ من روحكِ، لن أدوم لكِ
وربما أرحل فجأةً، قوتكِ ليست بيّ.. بل بالله، حينما
تريدين شيئاً انظري للسماء فالله لا يبك إنساناً
مهما فعلنا، أنتِ بنعمةٍ فاحمدي الله يا صغيرتي،
وعاشري البشر حتى تعلمين الدنيا بحق، سأترككِ
الآن ولا تتهاونين في حديثي.

"أَنْ تُوصِدَ بَابًا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرًا مِنْ تَرْكِهَا مَفْتُوحَةً"

ولج "منذر" لحجرة "بارق"؛ ليجلس وهو متطلعًا
بجدية: إلام أنت تُريد؟! ولم أشعر بشيءٍ يقلقك
حينما أخبرتك بمغادرة "إباء"؟

رفع رأسه مجيبًا: شعرتُ بإعجابٍ وإجادة عملها
بشكلٍ جادٍ، لكن شعورك كاذب الآن حتى وإن كنتُ
صحيحًا، ربما نشبه بعض في شتى الأمور، أنا فاشلٌ
في خلق العلاقات والتشبث بها، لهذا أنا أجهل
طريقي المتعدد، حتى وإن تطور هذا الشعور فلن
أذوق شيئًا إلا وارتفع قدره عندي، أنت غالي، وإن

أحببتها فستصبحُ غاليةً ولن أتساهل، المرأة
بالنسبة ليّ أغلى من أي شيءٍ وأن تصير عاليةً ليس
تكبراً بل من حقها التريث فيما تُحب، أنتَ رفيق أخي
الحميم فلا بأس من دهاءٍ يثير غضبي.

-لست سهلاً قط!

أشار بالإيجاب، لأول مرة يشعر بالتحدي، ليس
تحدي فحسب بل مغامرة جديدة بشكلٍ أجدد..

أتى اليوم المنتظر، حاولت "نبا" تهدئة فؤادها وهى
ترتدي، رفضتُ شراء ثياباً أو فعل شيء بعدما

غادرت شقيقتها، تطلعتُ لنفسها بالمرآة وفستانها
الأزرق الهادئ، وضعتُ خمارها الأسود المغمور
بالزهور الزرقاء؛ لتخرج جالسةً بالقرب من أبيها،
أخذ "منذر" .. "بارق" بالشرفة؛ لتردف بإستفهام:

-لمَ أنا؟! هل تعلم كم الثقل حينما أراك؟

-لأنك حادةٌ وتملكين قلبًا يحمل الحب للآخرين مهما
كنتِ، وهناك شيئًا آخر إن وافقتِ سأحدث بلا
قطرة كذب، الثقل الحقيقي هو إختيار الشخص
الخطيء أو التجربة الماضية قست قلبك،

وجلوسك هذا ليس بإرادتك، رؤيتك ليّ بهيئة سيئة
شكل معرفة خاطئة.

توترت "نبأ" وهي تنظر لأبيها؛ لتكمل:

-سأوافق بشرط واحدٍ أنّ تثبت ليّ هذا الحديث
بالفعل ليس كلمةً، ولن يحدث شيئاً إلا بإنهاء
شقيقتي عامها بخير.

أوماً بالموافقة؛ ليقروا والدها العمل معه، تعدد
حوارهما وثقتها تزداد به، لم تتغير بحدتها وكأنه
أحب هذا الجزء بالذات، فتحت فؤادها من جديد

بشكلٍ خفيٍّ، تَمَدَّدَتْ بفراشها والقلق يحتلُّ صدرها
كلما هاتفَتْ "إباء" تتحجج بالحديث، عادتُ بعد
إنهاءها بلا زيارة واحدة، حتى تبدل كُلُّ شيءٍ!

"تمت"

**

ربما أردتُ المزيد وقد توقفتُ قليلاً، لنا موعدٌ بجزءٍ ثانٍ
يحمل الكثير من الوقائع والكوميديا وغيرهم، أردتُ
إيصال إحدى الأفكار في هذا الجزء، ربما نودُّ لقاء مَنْ
نحبهم في كل وقتٍ، أتمنى من الله أن تصل فكرتي إليكم.

ولا أنسى ذكر عزيزة قلبي "فاطمة عطية" شكرًا من كل
قلبي على ما فعلته من السعادة لمحبيك وكتابك، أتمنى
من الله أن يسعد قلبك وينير دربك بالحب الدائم، أفتخر
بكل خطوة فعلتها، وإلى أنيستي وصديقة الثانوية،
أحبك دائمًا وأبدًا، ولكل من مضى وقتًا للقراءة لي شكرًا
لحديثكم الطيب ودعمكم.

"إلى اللقاء في الجزء الثاني"